الأربعون النووية
وشرحها

لوارث العلم النبوى
الإمام محيى الدين يحيى بن شرف النووى

الناشـــر

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

رقم الإيداع :٢٠٠٦/٩٥٤٨

الترقيم الدولي: I.S.B.N
977-290-313-X

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، قيوم السموات والأرضين، مدبر الخلائق أجمعين، باعث الرسل صلواته وسلامه عليهم إلى المكلفين لهدايتهم ، وبيان شرائع الدين ، بالدلائل القطعية وواضحات البراهين ، أحمده على جميع نعمه وأسأله المزيد من فضله وكرمه .

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار ، الكريم الغفار . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله ، أفضل المخلوقين المكرم بالقرآن العزيز المعجزة المستمرة على تعاقب السنين ، وبالسنن المستنيرة للمترشدين ، المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين وآل كل وسائر الصالحين.

أما بعد : فقد روينا عن على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود ومعاذ ابن جبل وأبى الدرداء وابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهم من طرق كثيرات بروايات متنوعات أن رسول الله ﷺ قال : « **من حفظ على أمتى أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فى زمرة الفقهاء والعلماء** » وفى رواية : « **بعثه الله فقيها عالماً** »، وفى رواية أبى الدرداء : « **وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً** » وفى رواية ابن مسعود «**قيل له : ادخل من أى أبواب الجنة شئت** » ، وفى رواية ابن عمر : « **كتب فى زمرة العلماء وحشر فى زمرة الشهداء** » . واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه».

وقد صنف العلماء رضى الله تعالى عنهم فى هذا الباب مالا يحصى من المصنفات ، فأول من علمته صنف فيه عبد الله بن المبارك ثم محمد بن أسلم الطوسى العالم الربانى ثم الحسن بن سفيان النسائى وأبو بكر الآجرى وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهانى والدارقطنى والحاكم وأبو نعيم وأبو عبد الرحمن السلمى وأبو سعيد المالينى وأبو عثمان الصابونى وعبد الله بن محمد الأنصارى

وأبو بكر البيهقى ، وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين.

وقد استخرت الله تعالى فى جمع أربعين حديثاً اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام ، وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال .ومع هذا فليس اعتمادى على هذا الحديث ، بل على قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى الأحاديث الصحيحة : « **ليبلغ الشاهد منكم الغائب** » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «**نضر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها ثم أداها إلى من يسمعها** ».

ثم من العلماء من جمع الأربعين فى أصول الدين ، وبعضهم فى الفروع، وبعضهم فى الجهاد ، وبعضهم فى الزهد ، وبعضهم فى الآداب ، وبعضهم فى الخطب، وكلهم مقاصد صالحة رضى الله تعالى عن قاصديها . وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله . وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه ،أو هو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك . ثم التزمت فى هذه الأربعين أن تكون صحيحة ، ومعظمها فى صحيحى البخارى ومسلم ، وأذكرها محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى ، ثم أتبعها بباب فى ضبط خفى ألفاظها.

وينبغى لكل راغب فى الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات، واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات، وذلك ظاهر لمن تدبره ، وعلى الله اعتمادى ، وإليه تفويضى واستنادى ، وله الحمد والنعمة وبه التوفيق والعصمة . .

الحديث الأول

عَن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يقول:

«إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنيات وَإنَّمَا لكُلِّ امرىء مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هجْرَتُهُ إلَى الله وَرَسُوله فَهجْرَتهُ إلَى الله وَرَسُوله وَمَن كَانَتْ هجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصيبُهَا أَو امْرَأَة يَنْكحُهَا فَهجْرَتُهُ إلَى مَاهَاجَرَ إلَيْه» (١) .

رواه إماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى فى صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة.

دل الحديث على أن النية معيار لتصحيح الأعمال. فحيث صلحت النية صلح العمل ، حيث فسدت فسد العمل ، وإذا وجد العمل وقارنته النية فله ثلاثة أحوال :

الأول : أن يفعل ذلك خوفاً من الله تعالي ، وهذه عبادة العبيد.

الثانى : أن يفعل ذلك لطلب الجنة والثواب ، وهذه عبادة التجار .

الثالث : أن يفعل ذلك حياء من الله تعالى وتأدية لحق العبودية وتأدية للشكر، ويرى نفسه - مع ذلك - مقصراً ، ويكون مع ذلك قلبه خائفاً ، لأنه لا يدرى هل قبل عمله ، مع ذلك أم لا وهذه!عبادة الأحرار ، وإليها أشار رسول الله ﷺ لما قالت له عائشة رضى الله عنها حين قام من الليل حتى تورمت قدماه : يارسول الله ، أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً »** (٢)؟

فإن قيل : هل من الأفضل العبادة مع الخوف ، أو مع الرجاء ؟ قيل : قال الغزالى - رحمه الله - العبادة مع الرجاء أفضل لأن الرجاء يورث المحبة ، والخوف يورث القنوط ، وهذه الأقسام الثلاثة فى حق المخلصين .

واعلم أن الإخلاص قد تعرض له آفة العجب ، فمن أعجب بعمله حبط

(١) متفق عليه : رواه البخارى (١) ومسلم (١٩٠٧/٣) .

(٢) متفق عليه : رواه البخارى (١١٣٠) - ومسلم (٢٨١٩) .

عمله ، وكذلك من استكبر حبط عمله.

والحال الثانى : أن يفعل ذلك لطلب الدنيا والآخرة جميعها ، فذهب بعض أهل العلم إلى أن عمله مردود ، واستدل بقوله ﷺ فى الخبر الربانى «**يقول الله تعالي : أنا أغنى الشركاء عن الشرك. فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى فأنا برىء منه**»[1] وإلي هذا ذهب الحارث المحاسبى فى كتاب الرعاية فقال: الإخلاص أن تريده بطاعته ، ولا تريد سواه . والرياء نوعان : أحدهما ألا يريد بطاعته إلا الناس ، والثانى أن يريد الناس ورب الناس ، وكلاهما محبط للعمل ونقل هذا القول الحافظ أبو نعيم فى الحلية عن بعض السلف ، واستدل بعضهم على ذلك أيضاً بقوله تعالى : ﴿ **الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون** ﴾ فكما أنه تكبر عن الزوجة والولد والشريك تكبر أن يقبل عملا أشرك فيه غيره ، فهو تعالى أكبر ، وكبير ، ومتكبر - وقال السمرقندى رحمه الله تعالى : ما فعله لله تعالى قبل ، وما فعله من أجل الناس رد . ومثال ذلك من صلى الظهر مثلاً وقصد أداء ما فرض الله تعالى عليه- ولكنه طول أركانها وقراءتها وحسن هيئاتها من أجل الناس- فأصل الصلاة مقبول ، وأما طوله وحسنه من أجل الناس فغير مقبول ، لأنه قصد به الناس . وسئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عمن صلى فطول صلاته من أجل الناس ، فقال : أرجو ألا يحبط عمله . هذا كله إذا حصل التشريك فى صفة العمل ، فإن حصل فى أصل العمل - بأن صلى الفريضة من أجل الله تعالى والناس - فلا تقبل صلاته ، لأجل التشريك فى أصل العمل.

وكما يكون الرياء فى العمل يكون فى ترك العمل . قال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما . ومعنى كلامه رحمه الله تعالى أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراها الناس فهو مراء ، لأنه ترك العمل لأجل الناس : وأما لو تركها ليصليها فى الخلوة فهذا مستحب ، إلا أن تكون فريضة أو زكاة واجبة أو يكون عالماً يقتدى به فالجهر بالعبادة فى ذلك أفضل.

وكما أن الرياء محبط للعمل كذلك التسميع ، وهو أن يعمل لله فى الخلوة ، ثم يحدث الناس بما عمل . قال ﷺ :« **من سمّع سمّع الله به، ومن راءى راءى**

(١) رواه مسلم ٤ / ٢٩٨٥.

الله به»[1] قال العلماء : فإن كان عالماً يقتدى به وذكر ذلك تنشيطاً للسامعين ليعملوا به فلا بأس . قال المرزباني رحمة الله تعالي عليه : يحتاج المصلي إلى أربع خصال حتى ترفع صلاته : حضور القلب ، وشهود العقل ، وخضوع الأركان، وخشوع الجوارح ، فمن صلى بلا حضور القلب ، فهو مصل لاه ، ومن صلى بلا شهود عقل فهو مصل ساه، ومن صلى بلا خضوع الأركان فهو مصل جاف ، ومن صلى بلا خشوع الجوارح فهو مصل خاطىء ، ومن صلى بهذه الأركان فهو مصل واف.

قوله ﷺ : **«إنما الأعمال بالنيات»** أراد بها أعمال الطاعات دون أعمال المباحات. قال الحارث المحاسبي : الإخلاص لا يدخل في مباح ، لأنه لا يشتمل على قربة ولا يؤدى إلى قربة ، كرفع البنيان لا لغرض!بل لغرض الرعونة . أما إذا كان لغرض كالمساجد والقناطر والأربطة فيكون مستحباً . قال : ولا إخلاص في محرم ولا مكروه . كمن ينظر إلى مالا يحل له النظر إليه ويزعم أنه ينظر إليه ليتفكر في صنع الله تعالى ، كالنظر إلى الأمرد . وهذا لا إخلاص فيه بل لا قربة ألبتة . قال : فالصدق في وصف العبد في استواء السر والعلانية والظاهر والباطن. والصدق يتحقق بتحقق جميع المقامات والأحوال ، حتى إن الإخلاص يفتقر إلى الصدق ، والصدق لا يفتقر إلى شئ، لأن حقيقة الإخلاص هو إرادة الله تعالى بالطاعة ، فقد يريد الله بالصلاة ولكنه غافل عن حضور القلب فيها ، والصدق هو إرادة الله بالعبادة مع حضور القلب إليه، فكل صادق مخلص ، وليس كل مخلص صادقاً ، وهو معنى الاتصال والانفصال - لأنه انفصل عن الله واتصل بالحضور بالله . وهو معني التخلى عما سوى الله ، والتخلى بالحضور بين يدى الله سبحانه وتعالى .

قوله ﷺ : **«إنما الأعمال»** يحتمل إنما صحة الأعمال ، أو تصحيح الأعمال،أو قبول الأعمال . وبهذا أخذ الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ، ويستثنى من الأعمال ما كان من قبيل التروك كإزالة النجاسة ورد الغصوب والعوارى وإيصال الهدية وغير ذلك، فلا تتوقف صحتها على النية المصححة ، لكن يتوقف الثواب فيها على نية التقرب ، ومن ذلك ما إذا أطعم دابته إن قصد

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى (٦٤٩٩) ومسلم (٢٢٨٩) .

بإطعامهـا امتثال أمر الـله تعالى فإنه يثاب ، وإن قصـد بإطعامها حـفظ المالية فلا ثواب ، ذكره القرافى. ويسـتثنى من ذلك فرس المجاهد إذا ربطهـا فى سبيل الله فـإنها إذا شـربت - وهو لا يريد سـقيـها - أثيب علـى ذلك كمـا فى صحـيح البخارى، وكـذلك الزوجة ، وكذلك إغلاق الباب وإطفـاء المصباح عند النوم إذا قصد به امتثال أمر الله أثيب ، وإن قصد به أمراً آخر فلا.

واعلم أن النية لغة القصد ، فقال : نواك الله بخير أى قصدك به.

والنية شرعاً : قـصد الشيء مقترناً بفعله . فإن قصـد وتراخى عنه فهو عزم وشرعت النية لتمييز العادة من العبادة ، أو لتميز رتب العبادة بعضها ببعض .

مثال الأول : الجلوس فى المسجد . قـد يقصد للاستـراحة فى العادة، وهو يقصد للعبادة بنية الاعتكاف . فالمميز بين العبادة والعادة هو النية . وكذلك الغسل قد يقـصد به تنظيف البدن فى العـادة ، وقد يقصد به العـبادة فالمميـز هو النية . وإلى هذا المعنى أشـار النبى ﷺ حين سـئل عن الرجل يقاتل رياء ، ويقـاتل حمية، ويقاتل شجاعة : أى ذلك فى سبيل الله تعالي ؟ فقال :« **من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهـو فى سبيل الله تعالى** »[1]. **ومثال الثانى**: وهو المميز رتب العبادة : من صلى أربع ركعات ،قد يقصد إيقـاعها عن صلاة الظهر، وقد يقصد إيقاعها عن السنن . فالمميز هو النيـة . وكذلك العتق، وقد يقصد به الكفارة وقد يقصد به غيرها كالنذر ونحوه فالمميز هو النية.

وفى قوله ﷺ : «**وإنما لكل امـرىء ما نوى** » دليل علي أنه لا تجـوز النيابة فى العبـادات، ولا التوكيل فى نفـس النية ، وقد اسـتثنى من ذلك تفرقـة الزكاة وذبح الأضحية ، فيـجوز التوكيل فيهما فى النية والذبـح والتفرقة مع القدرة على النيـة ، وفى الحج لا يجوز ذلك مع الـقدرة ، ودفع الدين إذا كـان على جهـة واحدة لا يحتـاج إلى نية، وإن كان على جهـتين كمن عليه ألفان بـأحداهما رهن فأدى ألفاً وقال : جعلته عن ألف الرهن صدق ، فإن لم ينو شيئاً حالة الدفع نوى بعد ذلك وجعله عما شاء . وليس لنا نية تتأخر عن العمل وتصلح إلا هنا.

وقوله ﷺ :« **فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلي الله ورسوله، ومن كانت هجـرته إلى دنيا يصيبـها أو امرأة ينكحهـا فهجرته إلي ما هـاجر إليه** »

(١) متفق عليه : رواه البخارى (١ / ١٢٣) ومسلم (٣/ ١٩٠٤).

أصل المهاجرة المجافاة والترك . فاسم الهجرة يقع على أمور :

الأول : (هجـرة الصحـابة رضى الله عنهم من مكة إلى الحبشـة) حين آذى المشركون رسول الله ﷺ فـفروا إلى النجاشى ، وكانت هذه الهجرة بعـد البعثة بخمس سنين . قاله البيهقى .

الهجرة الثانية : (من مكة إلى المدينة) وكانت هذه بعد البعثة بثلاث عشرة سنة وكان يجب على كل مسلم بمكة أن يهاجر إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة وأطلق جماعة أن الهجرة كانت واجبة من مكة إلى المدينة ، هذا ليس على إطلاقه ، فإنه لا خصوصية للمدينة ، وإنما الواجب الهجرة إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن العربى : قسم العلماء رضى الله عنهم الذهاب فى الأرض : هرباً ، وطلباً فالأول ينقسم إلى ستة أقسام:

(**الأول**): الخـروج من دار الحرب إلـى دار الإسلام ، وهى باقـيـة إلى يوم القيامة . والـتى انقطعت بالفتح فى قوله ﷺ : « **لا هجرة بعـد الفتح** »[1] هى القصد إلى رسول الله ﷺ حيث كان (**الثانى**): الخروج من أرض البدعة ، قال ابن القاسم سمعت مالكاً يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسبُّ فيها السلف. (**الثالث**): الخروج من أرض يغلب عليها الحرام، فإن طلب الحلال فريضة على كل مسلم .(**الرابع**): الفرار من الأذية فى البدن ، وذلك فضل من الله تعالى أرخص فيه ، فإذا خشى على نفسه فى مكان فقد أذن الله له فى الخروج عنه والفرار بنفسه يخلصهـا من ذلك المحذور ، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه الـسلام حين خاف من قومه قال :﴿ **إنى مهـاجر إلى ربى** ﴾ ، وقال تعـالى مخبراً عن مـوسى عليه السلام ﴿ **فخرج منها خائفاً يترقب** ﴾ . (**الخامس**): الخروج خوف المرض من البلاد الوخمـة إلى أرض النزهة ، وقـد أذن ﷺ للعرنيين فى ذلك حين اسـتوخـموا المدينة أن يخرجوا إلى المرج . (**السادس**): الخروج خوفاً من الأذية فى المال ، فإن حرمة مال المسـلم كحرمة دمه . وأما قسـم الطلب فإنه ينقسم إلى : طلب دين ، وطلب دنيا، وطلب الدين ينقسم إلى تسعة أنواع:

(**الأول**): سفر العبرة : قال الله تعالى : ﴿ **أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ﴾ وقد طاف ذو القرنين فى الدنيا ليرى عجائبها

(١) متفق عليه : رواه البخارى (٦ / ٢٨٢٥) ومسلم (٢ / ١٨٦٤).

(**الثانى**): سفر الحج . (**الثالث**): سفر الجهاد . (**الرابع**): سفر المعاش ، (**الخامس**): سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، وهو جائز لقوله تعالى : ﴿**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم**﴾.(**السادس**): طلب العلم،(**السابع**) قصد البقاع الشريفة ، قال ﷺ «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[١] (**الثامن**): قصد الثغور للرباط بها ،(**التاسع**): زيارة الإخوان فى الله تعالى ، قال ﷺ : « **أن رجلاً زار أخاً لهُ فى قرية أخرى . فأرصَدَ اللهُ له على مدْرجَته مَلَكاً. فلما أتى عليه قال أين تريدُ ؟ قال : أريدُ أخاً لى فى هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تريدها ؟ قال : لا غير أنى أحببتُهُ فى الله عز وجل . قالَ : فإنىِّ رسولُ الله إليكَ بَأنَّ اللهَ قد أحبَّكَ كما أحببتَهُ فيه** »[٢] رواه مسلم وغيره.

الهجرة الثالثة : (هجرة القبائل إلى رسول الله ﷺ ليتعلموا الشرائع ويرجعوا إلى قومهم فيعلموهم .

الهجرة الرابعة : (هجرة من أسلم من أهل مكة) ليأتى النبى ﷺ ثم يرجع إلى قومه.

الهجرة الخامسة : (الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام) فلا يحل للمسلم الإقامة بدارالكفر ، قال الماوردى : فإن صار له بها أهل وعشيرة وأمكنه إظهار دينه لم يجز له أن يهاجر ، لأن المكان الذى هو فيه صار دار إسلام.

الهجرة السادسة : (هجرة المسلم أخاه فوق ثلاث بغير سبب شرعى) وهى مكروهة فى الثلاث ، وفيما زاد حرام إلا لضرورة . وحكى أن رجلا هجر أخاه ثلاثة أيام فكتب إليه هذه الأبيات فقال:

يا سيدى عندك لى مظلمة	فاستفت فيها ابن أبى خيثمة
فإنه يرويه عن جده ماقد	روى الضحاك عن عكرمة
عن ابن عباس عن المصطفى	نبينا المبعوث بالمرحمة
أن صدود الإلف عن إلفه	فوق ثلاث ربُّنا حَرَّمَهْ

الهجرة السابعة :(هجر الزوج الزوجة إذا تحقق نشوزها) قال تعالى:

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى (٣ / ١١٨٩) ومسلم (٢/ ١٣٩٧) .

(٢) صحيح : رواه مسلم (٤/ ٢٥٦٧) .

﴿واهجروهن فى المضاجع﴾ ، ومن ذلك هجرة أهل المعاصى فى المكان والكلام وجواب السلام وإبتدائه.

الهجرة الثامنة :(هجرة ما نهى الله عنه) وهى أعم الهجرة.

قوله ﷺ «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله**» أى نيه وقصداً «**فهجرته إلى الله ورسوله**» حكماً وشرعاً ، « **ومن كانت هجرته إلي دنيا يصيبها** » إلخ . نقلوا أن رجلا هاجر من مكة إلي المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة ، وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس فسمى «**مهاجر أم قيس** » . فإن قيل النكاح من مطلوبات الشرع فلم كان من مطلوبات الدنيا؟ قيل فى الجواب : إنه لم يخرج فى الظاهر لها وإنما خرج فى الظاهر للهجرة ،فلما أبطن خلاف ما أظهر استحق العتاب واللوم وقيس بذلك من خرج فى الصورة الظاهرة لطلب الحج وقصد التجارة،وكذلك الخروج لطلب العلم إذا قصد به حصول رياسة أو ولاية.

قوله ﷺ «**فهجرته إلى ما هاجر إليه**» يقتضى أنه لا ثواب لمن قصد بالحج التجارة والزيارة ، وينبغى حمل الحديث على ما إذا كان المحرك والباعث له على الحج إنما هو التجارة ، فإن كان الباعث له الحج فله الثواب ، والتجارة تبع له إلا أنه ناقص الأجر عمن أخرج نفسه للحج ، وإن كان الباعث له كليهما فيحتمل حصول الثواب،لأن هجرته لم تتمحض للدنيا ، ويحتمل خلافه لأنه قد خلط عمل الآخرة بعمل الدنيا، لكن الحديث رتب فيه الحكم على القصد المجرد ، فأما من قصدهما لم يصدق عليه أنه قصد الدنيا فقط. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الحديث الثانى

عَن عُمَرَ رَضِىَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَيْضًا قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَاب شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لاَ يُرَى عَلَيْه أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إلَى النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلَى رُكْبَتَيْه وَوَضَعَ كَفَّيْه عَلَى فَخذَيْه وَقَالَ : يَامُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنى عَنِ الإسْلاَمِ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ :

«**الإسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله وتُقيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ البَيْتَ إن اسْتَطَعْتَ إلَيْه سَبِيلاً**» قال :

صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بالله وَمَلائكتِه وكُتُبِه ورُسُلِه واليَوْمِ الآخِرِ وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه» قال صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان قال: «أَنْ تَعْبُدَ الله كأَنَّكَ تَرَاهُ فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّهُ يَرَاكَ» قال: فأخبرني عن الساعة قال: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بأعلم مِنَ السَّائِل» قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ» ثم انطلق فلبث مليا ثم قال: يا عمر أتدرى من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُم دِينَكُمْ» [1] رواه مُسْلِمٌ.

قوله ﷺ «**أخبرنى عن الإيمان**»، الإيمان فى اللغة هو مطلق التصديق، وفى الشرع عبارة عن تصديق خاص، وهو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وأما الإسلام فهو عبارة عن فعل الواجبات وهو الانقياد إلى عمل الظاهر. وقد غاير الله تعالى بين الإيمان والإسلام كما فى الحديث، قال الله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾ وذلك أن المنافقين كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون وبقلوبهم ينكرون، فلما ادعوا الإيمان كذبهم الله فى دعواهم الإيمان لإنكارهم بالقلوب، وصدقهم فى دعوى الإسلام لتعاطيهم إياه، وقال الله تعالى: ﴿ **إذا جاءك المنافقون – إلى قوله– والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾ أي فى دعواهم الشهادة بالرسالة مع مخالفة قلوبهم، لأن ألسنتهم لم تواطىء قلوبهم. وشرط الشهادة أن يواطىء اللسان القلب، فلما كذبوا فى دعواهم بين الله تعالى كذبهم. ولما كان الإيمان شرطاً فى صحة الإسلام استثنى الله تعالى من المؤمنين المسلمين قال الله تعالى: ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾ فهذا استثناء متصل لما بين الشرط والمشروط من الاتصال. ولذا سمى الله تعالى الصلاة إيماناً، قال الله تعالى: ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ **ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾ أى الصلاة.

قوله ﷺ «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**» بفتح الدال وسكونها لغتان ومذهب

---

(١) رواه مسلم (٨).

أهل الحق إثبات القدر : ومعناه : **أن الله سبحانه وتعالى قدر الأشياء فى القدم** ، وعلم سبحانه وتعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وفى أمكنة معلومة وهى تقع حسب ما قدره الله سبحانه وتعالى .

واعلم أن التقادير أربعة : **الأول** : (التقدير فى العلم) ولهذا قيل: العناية قبل الولاية والسعادة قبل الولادة واللواحق مبنية على السوابق . قال الله تعالى: **﴿يؤفك عنه من أفك﴾** أي يصرف عن سماع القرآن وعن الإيمان به فى الدنيا من صرف عنه فى القدم، قال رسول الله ﷺ **«لا يهلك على الله إلا هالك»** (١) أى من كتب فى علم الله تعالى أنه هالك .

الثانى : (التقدير فى اللوح المحفوظ) وهذا التقدير يمكن أن يتغير ، قال الله تعالى: **﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾** ، وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهم أنه كان يقول فى دعائه : اللهم إن كنت كتبتنى شقياً فامحنى واكتبنى سعيداً .

الثالث: (التقدير فى الرحم) وذلك أن الملك يؤمر بكتب رزقه . وأجله ، وعمله، وشقى أو سعيد .

الرابع: التقدير وهو (سوق المقادير إلى المواقيت) والله تعالى خلق الخير والشر وقدر مجيئه إلى العبد فى أوقات معلومة ، والدليل على أن الله تعالى خلق الخير والشر قوله تعالى: **﴿ إن المجرمين فى ضلال وسعر ﴾** إلى قوله **﴿بقدر﴾** ، ونزلت هذه الآية فى القدرية، يقال لهم ذلك فى جهنم ، وقال تعالى: **﴿ قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق ﴾** وهذا القسم إذا حصل فيه اللطف بالعبد صرف عنه قبل أن يصل إليه . وفى الحديث **«إن الصدقة وصلة الرحم تدفع ميتة السوء ، وتقلبه سعادة »** وفى الحديث **«إن الدعاء والبلاء بين السماء والأرض يقتتلان، ويدفع الدعاء البلاء قبل أن ينزل»**.

وزعمت القدرية أن الله تعالى لم يقدر الأشياء فى القدم ولا سبق علمه بها وأنها مستأنفة وأنه تعالى إنما يعلمها بعد وقوعها ، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى - جل عن أقوالهم الكاذبة وتعالى علواً كبيراً - وهؤلاء انقرضوا وصارت

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب ٥٩ رقم (١٣١/٢٠٨) .

القدرية فى الأزمان المتأخرة يقولون : الخير من الله والشر من غيره ، تعالى الله عن قولهم ، وصح عنه ﷺ قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة**»[1] سماهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس. وزعمت المثنوية أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة ، فصاروا ثنوية . وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره ، وهو تعالى خالق الخير والشر . قال إمام الحرمين فى كتاب الإرشاد : إن بعض القدرية قال : لسنا بقدرية ، بل أنتم القدرية لاعتقادكم أخبار القدر . ورد على هؤلاء الجهلة بأنهم يضيفون القدر إلى أنفسهم ، ومن يدعى الشر لنفسه ويضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يضيفه لغيره وينفيه عن نفسه .

قوله ﷺ : «**فأخبرنى عن الإحسان،قال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**»وهذا مقام المشاهدة، لأن من قدر أن يشاهد الملك استحيا أن يلتفت إلى غيره في الصلاة وأن يشتغل قلبه بغيره. ومقام الإحسان مقام الصديقين، وقد تقدم فى الحديث الأول الإشارة إلى ذلك.

قوله ﷺ : «**فإنه يراك**» غافلا إن غفلت فى الصلاة وحدثت النفس فيها.

قوله ﷺ :«**فأخبرنى عن الساعة، فقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل**».

هذا الجواب يدل على أنه ﷺ كان لا يعلم متى الساعة ، بل علم الساعة مما استأثر الله تعالى به ، قال الله تعالى: ﴿ **إن الله عنده علم الساعة** ﴾ وقال تعالى: ﴿**ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ **وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً** ﴾ ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعون ألف سنة وأنه بقى منها ثلاثة وستون ألف سنة فهو قول باطل حكاه الطوخى فى أسباب التنزيل عن بعض المنجمين وأهل الحساب . ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فهذا يسوف على الغيب ولا يحل اعتقاده.

قوله ﷺ : «**فأخبرنى عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة ربتها** » الأمار والأمارة- بإثبات التاء وحذفها - لغتان ، وروى ربها وربتها ، وقال الأكثرون: هذا إخبار عن كثرة السرارى وأولادهن ،فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها ، لأن

---

(١) حسن رواه أبى داود (٤٦٩١) وابن أبي عاصم (١ / ١٤٩) قال الألبانى رجاله ثقات ، لكنه منقطع ، وأما اسناد أحمد فموصول لكن فيه رجل ضعيف ، وله طريق ثالث عند الآجرى فى الشريعة ص ١٩٠ وفيه ضعف أيضاً فالحديث بهذه الطرق حسن (الألبانى في المشكاة ١٠٧).

مال الإنسان صائر إلى ولده. وقيل معناه الإماء يلدن الملوك فتكون أمة من جملة رعيته. ويحتمل أن يكون المعنى أن الشخص يستولد الجارية ولداً ويبيعها فيكبر الولد ويشترى آمه وهذا من أشراط الساعة .

قوله ﷺ : «**وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان** » إذ العالة هم الفقراء ، والعائل الفقير ، والعيلة الفقر ، وعال الرجل يعيل عيلة أى افتقر . والرعاء بكسر الراء وبالمد، ويقال فيه رعاة بضم الراء وزيادة تاء بلا مد ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة يترقون فى البنيان وتبسط لهم الدنيا حتى يتباهوا فى البنيان.

قوله: «**فلبث ملياً** » هو بفتح الثاء على أنه الغائب ، وقيل فلبثت بزيادة تاء المتكلم وكلاهما صحيح. ومليا بتشديد الياء معناه وقتا طويلا . وفى رواية أبى داود والترمذى أنه قال: «**بعد ثلاثة أيام** » وفى شرح التنبيه للبغوى أنه قال: «**بعد ثلاث فأكثر** » وظاهر هذا أنه بعد ثلاث ليال ، وفى ظاهر هذا مخالفة لقول أبى هريرة فى حديثه: «**ثم أدبر الرجل ، فقال رسول الله ﷺ : ردوا علىّ الرجل ، فأخذوا يردونه فلم يروا شيئاً ، فقال ﷺ : هذا جبريل**»[1] . فيمكن الجمع بينهما بأن عمر رضى الله عنه لم يحضر قول النبى ﷺ فى الحال ، بل كان قد قام من المجلس فأخبر النبى ﷺ الحاضرين فى الحال ، وأخبر عمر بعد ثلاث، إذ لم يكن حاضراً عند إخبار الباقين .

وقوله ﷺ : «**هذا جبريل . أتاكم يعلمكم أمر دينكم**» فيه دليل على أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها ديناً . وفى الحديث دليل على أن الإيمان بالقدر واجب . وعلى ترك الخوض فى الأمور ، وعلى وجوب الرضا بالقضاء . دخل رجل على ابن حنبل رضى الله عنه فقال : عظنى . فقال له : إن كان الله تعالى قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا؟ وإن كان الخلف على الله حقاً فالبخل لماذا؟ وإن كانت الجنة حقاً فالراحة لماذا؟ وإن كانت النار حقاً فالمعصية لماذا ؟ وإن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا؟ وإن كان كل شىء بقضاء وقدر فالخوف لماذا؟

(فائدة) : ذكر صاحب «**مقامات العلماء** » أن الدنيا كلها مقسومة على خمسة وعشرين قسماً : خمسة بالقضاء والقدر ، وخمسة بالاجتهاد ، وخمسة

(١) متفق عليه : رواه البخارى (٤٧٧٧) ومسلم (٩) .

بالعادة، وخمسة بالجوهر، وخمسة بالوراثة، فأما الخمسة التى فيها القضاء والقدر: فالرزق، والولد، والأهل، والسلطان، والعمر، والخمسة التى بالاجتهاد: فالجنة، والنار، والعفة والفروسية، والكتابة، والخمسة التى بالعادة: فالأكل، والنوم، والمشى والنكاح، والتغويط. والخمسة التى بالجوهر: فالزهد، والزكاة، والبذل، والجمال، والهيبة، والخمسة التى بالوراثة: فالخير، والتواصل، والسخاء، والأمانة، وهذا كله لا ينافى قوله ﷺ: «**كل شىء بقضاء وقدر**»[١] وإنما معناه أن بعض هذه الأشياء يكون مرتباً على سبب، وبعضها يكون بغير سبب والجميع بقضاء وقدر.

الحديث الثالث

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**بُنِىَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادة أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله وَإِقام الصَّلاَة، وَإِيتَاء الزَّكَاة وَحَجِّ البَيْت، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[٢]. رواه البخارى ومسلم.

قوله ﷺ: «**بنى الإسلام على خمس**» أى فمن أتى بهذه الخمس فقد تم إسلامه، كما أن البيت يتم بأركانه كذلك الإسلام يتم بأركانه، وهى خمس. وهذا بناء معنوى بالحس، ووجه التشبيه أن البناء الحسى إذا انهدم بعض أركانه لم يتم. فكذلك البناء المعنوى، ولهذا قال ﷺ: «**الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين**» وكذلك يقاس البقية. ومما قيل فى البناء المعنوى:

بنا الأمور بأهل الدين ما صلحوا ... وإن تولوا فبالأشرار تنقاد
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا له عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

وقد ضرب الله مثلاً للمؤمنين والمنافقين فقال تعالى: ﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان** ﴾ الآية. وشبه بناء المؤمن بالذى وضع بنيانه

(١) رواه مسلم (٤ / ٢٦٥٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١/٨، ٨/ ٤٥١٤) ومسلم (١٦).

على وسط طود أى جبل راسخ . وشبه بناء الكافر بمن وضع بنيانه على طرف جرف بحر هار لا ثبات له ، فأكلها الجرف فانهار بنيانه فوقع به البحر فغرق فدخل جهنم.

قوله ﷺ : «**بنى الإسلام على خمس**» أى بخمس ، على أن تكون «على» بمعنى الباء، وإلا فالمبنى عليه ، فلو أخذنا بظاهره لكانت الخمسة خارجة عن الإسلام فهو فاسد . ويحتمل أن تكون «علي» بمعنى «من» ، كقوله تعالى: ﴿**إلا علي أزواجهم**﴾ والخمسة المذكورة فى الحديث أصول البناء، وأما التتمات والمكملات - كبقية الواجبات وسائر المستحبات - فهو زينة للبناء ، وقد ورد فى الحديث أنه ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قوله لا إله إلا الله - قال - وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[1].

قوله ﷺ : «**وحج البيت وصوم رمضان**» هذا جاء فى هذه الرواية بتقديم الحج على الصوم ، وهذا من باب الترتيب فى الذكر دون الحكم ، لأن صوم رمضان وجب قبل الحج ، وقد جاء فى الرواية الأخرى تقديم الصوم على الحج.

الحديث الرابع

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق:

«إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فى بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعينَ يوْمًا نُطفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مثْلَ ذَلكَ، ثُمَّ يكُونُ مُضْغَةً مثْلَ ذَلكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إلَيْه المَلَكُ فَيَنْفُخُ فيه الرُّوحَ ويُؤْمَرُ بأرْبَع كَلمَات : بكَتْب رزقه وأجله وعَمَله وشَقيٌّ أَوْ سَعيدٌ ، فوالله الذى لاَ إلهَ غَيْرُهُ إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَل أَهْلِ الجَنَّة حتَّى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا ذراعٌ فَيَسْبقُ عَلَيْه الكتَابُ فَيَعْمَلُ بعَمَل أَهْلِ النَّار فيدخلها و إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَل أَهْلِ النَّار حَتَّى مَا يَكُونُ بيْنَهُ وبَيْنَهَا ذراعٌ فَيَسْبقُ عَلَيْه الكتَابُ فَيَعْمَلُ بعَمَل أَهْلِ الجَنَّة فَيَدْخُلُهَا »[2].. **رواهُ البُخَارِىُّ ومُسْلمٌ .**

---

(١) رواه البخارى (٩) .

(٢) متفق عليه : رواه البخارى (٦/٣٢٠٨) ومسلم (٤/٢٦٤٣) .

قوله : «وهو الصادق المصدوق » أى شهد الله بأنه صادق ، والمصدوق بمعنى المصدق فيه.

قوله ﷺ : « **يجمع خلقه فى بطن أمه**» يحتمل أن يجمع بين ماء الرجل والمرأة فيخلق منها الولد ، كما قال تعالى: ﴿ **خلق من ماء دافق** ﴾ الآية. ويحتمل أن المراد أنه يجمع من البدن كله، وذلك قيل: إن النطفة فى الطور الأول تسرى فى جسد المرأة أربعين يوماً وهى أيام التوحمة ، ثم بعد ذلك تجمع ويذر عليها من تربة المولود فتغير عقله ، ثم يستمر فى الطور الثانى فيأخذ فى الكبر حتى يصير مضغة ، وسميت مضغة لأنها بقدر اللقمة التى تمضغ. ثم فى الطور الثالث يصور الله تلك المضغة ويشك فيها السمع والبصر والشم والفم، ويصور فى داخل جوفها الحوايا والأمعاء ، قال الله تعالى ﴿ **هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء** ﴾ الآية . ثم إذا تم الطور الثالث - وهو أربعون - وصار للمولود أربعة أشهر نفخت فيه الروح ، قال تعالى ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب** ﴾ يعنى أباكم آدم ، ﴿ **ثم من نطفة** ﴾ يعنى ذريته ، والنطفة المنى وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف، ﴿ **ثم من علقة** ﴾ ثم من الدم الغليظ المتجمد، وتلك النطفة تصير دماً غليظاً ، ﴿ **ثم من مضغة** ﴾ وهى لحمة ﴿ **مخلقة وغير مخلقة** ﴾ قال ابن عباس : مخلقة أى تامة ، وغير مخلقة أى غير تامة بل ناقصة الخلق . وقال مجاهد : مصورة وغير مصورة ، يعنى السقط ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النطفة إذا استقرت فى الرحم أخذها الملك بكفه فقال : أى رب، مخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال غير مخلقة ، قذفها فى الرحم دمًا ولم تكن نسمة ، وإن قال : مخلقة ، قال الملك: أى رب ، أذكر أم أنثى ، أشقى أم سعيد؟ ما الرزق وما الأجل، وبأى أرض تموت؟ فيقال له: اذهب إلى أم الكتاب، فإنك تجد فيها كل ذلك ، فيذهب فيجدها فى أم الكتاب فينسخها ، فلا تزال معه حتى يأتى آخر صفتها . ولهذا قيل : السعادة قبل الولادة.

قوله ﷺ : «**فيسبق عليه الكتاب** » ،أى الذى سبق فى العلم ، أو الذى سبق فى اللوح المحفوظ،أو الذى سبق فى بطن الأم،وقد تقدم أن المقادير أربعة.

قوله ﷺ :«**حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع**» ، هو تمثيل وتقريب . والمراد قطعة من الزمان من آخر عمره ، وليس المراد حقيقة الذراع وتحديده من الزمان .

فإن الكافر إذا قال: «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» ثم مات دخل الجنة . والمسلم إذا تكلم آخر عمره بكلمة الكفر دخل النار . وفى الحديث دليل على عدم القطع بدخول الجنة أو النار وإن عمل سائر أنواع البر ، أو عمل سائر أنواع الفسق، وعلى أن الشخص لا يتكل على عمله ولا يعجب به لأنه لا يدرى ما الخاتمة ، وينبغى لكل أحد أن يسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ، ويستعيذ بالله تعالى من سوء الخاتمة وشر العاقبة.

فإن قيل : قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** ﴾ ظاهر الآية أن العمل الصالح من المخلص يقبل ، وإذا حصل القبول بوعد الكريم أمن مع ذلك من سوء الخاتمة ، فالجواب من وجهين: (**أحدهما**) أن يكون ذلك معلقاً على شروط القبول وحسن الخاتمة ، ويحتمل أن من آمن وأخلص العمل لا يختم له دائماً إلا بخير وأن خاتمة السوء إنما تكون فى حق من أساء العمل أو خلطه بالعمل الصالح المشوب بنوع من الرياء والسمعة. ويدل عليه الحديث الآخر: « **إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس**»[1] أى فيما يظهر لهم من إصلاح ظاهره مع فساد سريرته وخبثها، والله تعالى أعلم . وفى الحديث دليل على استحباب الحلف لتأكيد الأمر فى النفوس ، وقد أقسم الله تعالى: ﴿ **فو رب السماء والأرض إنه لحق**﴾ وقال تعالى: ﴿ **قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم** ﴾ والله تعالى أعلم .

الحديث الخامس

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**مَنْ أَحْدَثَ فى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْس منْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» [2] رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِم.

وفى رواية لمسلم «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» [3].

قوله ﷺ : «**من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد**» أى مردود . فيه دليل أن العبادات – من الغسل والوضوء والصوم والصلاة – إذا فعلت على خلاف

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى (٢٨٩٨) ومسلم (١١٢) .

(٢) متفق عليه : رواه البخارى (٥/ ٢٦٩٧) ومسلم (٣/ ١٧١٨/ ١٧) .

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٧١٨ / ١٨). .

الشرع تكون مردودة على فاعلها ، وأن المأخوذ بالعقد الفاسد يجب رده على صاحبه ولا يملك .

وقال ﷺ للذى قال له : إن ابنى كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته . وإنى أخبرت أن على ابنى الرجم فافتديت منه مائة شاة ووليدة. فقال ﷺ : **«الوليدة والغنم رد عليك»**(١) وفيه دليل على أن من ابتدع فى الدين بدعة لا توافق الشرع فإثمها عليه وعمله مردود عليه وأنه يستحق الوعيد ، وقد قال ﷺ : **«من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله »**(٢).

الحديث السادس

عن أبى عبد الله النعمان بن بشير رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول :

«إنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ وَ إنَّ الحرَامَ بَيِّنٌ وبَيْنَهُـمَا أُمُورٌ مُشْتَبهَاتٌ لاَ يَعْلَمُـهُنَّ كثيرٌ منَ النَّاس ، فَمَن اتَّقَى الشُّبُهَات فَقَد اسْتَبْرَأَ لدينه وعرْضه وَمَنْ وَقَعَ فى الشُّبُهَات وَقَعَ فى الحَـرَام كالرَّاعى يَرْعَى حَوْلَ الحـمَى يوشك أَنْ يرتعَ فيه ، أَلاَ وَإنَّ لكُلِّ مَلك حـمًى أَلاَ وَإنَّ حمَى اللـه مَحَـارمُهُ أَلاَ وَإنَّ فى الجَسَـد مُضْـغَـةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإذَا فَسَـدَتْ فَسَـدَ الجَسَـدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهىَ الْقَلْبُ»(٣). رواه البخارى ومسلم.

قوله ﷺ : **«إن الحلال بين ، وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات»**. . إلخ اختلف العلماء فى الحلال والحرام: فقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: الحلال ما دل الدليل على حله. وقال الشافعى رضى الله عنه: الحرام ما دل الدليل على تحريمه .

قوله ﷺ : **«وبينهما أمور مشتبهات »** أى بين الحلال والحرام أمور مشتبه بالحلال والحرام ، فحيث انتفت الشبهة انتفت الكراهة وكان السؤال عنه بدعة، وذلك كما إذا قدم غريب بمتاع فلا يجب البحث عن ذلك، بل ولا يستحب ويكره السؤال عنه .

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى (٢٦٩٥) ومسلم (١٦٩٧).

(٢) صحيح : النسائى كتاب القسامة باب (١٠) انظر صحيح سنن النسائى للألبانى (٤٤١٢).

(٣) متفق عليه : رواه البخارى (١ / ٥٢ ، ٢٠٥١) ومسلم (٣/ ١٥٩٩) .

قوله ﷺ : «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**» أى طلب براءة دينه وسلم من الشبهة وأما براءة العرض فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام فيكون مدعاة لوقوعه فى الإثم ، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم**» . وعن على رضى الله عنه أنه قال : إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره ، فرب سامع نكراً ، لا تستطيع أن تسمعه عذراً. وفى صحيح الترمذى أنه ﷺ قال: «**إذا أحدث أحدكم فى الصلاة فليأخذ أنفه ثم لينصرف**»[1] وذلك لئلا يقال : إنه أحدث.

قوله ﷺ : «**فمن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام**» يحتمل أمرين : (**أحدهما**): أن يقع فى الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام . (**والثانى**): أن يكون المعنى قد قارب أن يقع فى الحرام ، كما قال : المعاصى بريد الكفر ، لأن النفس إذا وقعت فى المخالفة تدرجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها. قيل: وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **ويقتلون الأنبياء بغير حق. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** ﴾ يريد أنهم تدرجوا بالمعاصى إلى قتل الأنبياء. وفى الحديث «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»[2] أى يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة. و«**الحمى**» ما يحميه من الغير من الحشيش فى الأرض المباحة، فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته فيرعى فيما حماه الغير ، بخلاف ما إذا رعى إبله بعيداً عن الحمى .

واعلم أن كل محرم له حمى يحيط به : فالفرج محرم ، وحماه الفخذان، لأنهما جعلا حريماً للمحرم . وكذلك الخلوة بالأجنبية حمى للمحرم. فيجب على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرم . فالمحرم حرام لعينه، والحريم محرم لأنه يتدرج به إلى المحرم.

قوله : ﷺ «**ألا وإن فى الجسد مضغة**» أى فى الجسد مضغة إذا خشعت خشعت الجوارح ، وإذا طمحت طمحت الجوارح ، وإذا فسدت فسدت الجوارح قال العلماء:البدن مملكة النفس ومدينتها ، والقلب وسط المملكة ، والأعضاء كالخدم ، والقوة المفكرة الباطنة كضياع المدينة ، والعقل كالوزير المشفق الناصح ،

(١) صحيح رواه أبو داود (١ / ١١١٤) والحاكم (١ / ١٨٤) وصححه الحاكم والألبانى .

(٢) متفق عليه : رواه البخارى (٦٧٨٣) ومسلم (١٦٨٧).

والشهوة طالب أرزاق الخدام ، والغضب صاحب الشرطة ، وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ، ونصحه سم قاتل ، ودأبه أبداً منازعة الوزير الناصح ، والقوة المخيلة فى مقدم الدماغ كالخازن ، والقوة المفكرة فى وسط الدماغ ، والقوة الحافظة فى آخر الدماغ ، واللسان كالترجمان، والحواس الخمس جواسيس ، وقد وكل كل واحد منهم بصنيع من الصناعات : فوكل العين بعالم الألوان ، والسمع بعالم الأصوات ، وكذلك سائرها فإنها أصحاب الأخيار : ثم قيل : هى كالحجبة توصل إلى النفس ما تدركه ، وقيل : إن السمع والبصر والشم كالطاقات تنظر منها النفس فالقلب هو الملك فإذا صلح الراعى صلحت الرعية وإذا فسد فسدت الرعية ، إنما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة كالغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والسخرية والرياء والسمعة والمكر والحرص والطمع وعدم الرضا بالمقدور . وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين ، عافانا الله منها وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم.

الحديث السابع

عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ الله عليه وآله وسلم قال :

«الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا :لمَنْ؟ قَالَ : للهِ وَلِكتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئمَّةِ المُسْلمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» [١]. رواه مسلم .

قوله ﷺ : **«الدين النصيحة »** : لله ،ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين، وعامتهم قال الخطابى : النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له . وقيل: النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه ، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسد من خلل الثوب. وقيل : إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع ، شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط.

قال العلماء : أما النصيحة لله تعالى: فمعناها ينصرف إلى الإيمان بالله ، ونفى الشريك عنه ، وترك الإلحاد فى صفاته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال ، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع أنواع النقائص ، والقيام بطاعته واجتناب

(١) رواه مسلم (٥٥) .

معصيتـه . والحب فيه والبغض فيه ، ومودة من أطاعه ومعـاداة من عصاه وجهاد من كفر به ، والاعتـراف بنعمته وشكره عليها ، والإخـلاص فى جميع الأمور ، والدعاء إلى جمـيع الأوصاف المذكورة والحث عليها ، والتـلطف بجميع الناس أو من أمكن منهم ، وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد فى نصحه نفسه ، والله تعالى غنى عن نصح الناصح.

وأما النصيحـة لكتاب الله تعالى: فالإيمـان بأنه كلام الله تعـالى وتنزيله ، لا يشبهـه شيء من كلام الناس ، ولا يقدر على مثله أحد مـن الخلق . ثم تعظيمه، وتلاوته حق تلاوته وتحـسينها ، والخـشوع عندها ، وإقامـة حروفـه فى التلاوة ، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين ، والتـصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفـهم علومه وأمثـاله ، والاعتبـار بمواعظه ، والتفكر فى عجـائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه ، والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته.

وأما النصيحة لرسوله ﷺ : فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ماجاء به ، وطاعته فى أمره ونهـيه ، ونصرته حيا أو ميتاً ، ومـعاداة من عاداه، وموالاة من والاه ، وإعظام حقـه وتوقيـره ، وإحياء طريقـته وسننه ، وبث دعـوته ونشر سنته ، ونفى التهم عنها، ونشر علومها ، والتـفقه فيها ، والدعاء لها ، والتلطف فى تعلمهـا وتعليمها وإعظـامها وإجلالهـا ، والتأدب عند قراءتها والإمـساك عن الكلام فيـها بغـير علم ، وإجـلال أهلها لانتسـابهم إليهـا، والتخلق بأخـلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومـحبة أهل بيته وأصـحابه ، ومجانبـة من ابتدع فى سننه ، أو تعرض لأحد من أصحابه ، ونحو ذلك .

وأما النصـيحة لأئـمة المسلمين: فمـعاونتـهم على الحق ، وطاعـتهم فـيه ، وأمرهم به ونهـيهم ، وتذكيـرهم برفق ، وإعلامهم بما غفـلوا عنه ولم يبلغوا من حـقـوق المسلمين ، وترك الخـروج بـالسـيف عليـهم ، وتأليف قلـوب المسلمين لطاعتهـم، قال الخطابى : ومن النصيحـة لهم الصلاة خلفهم ، والجهـاد معهم، وأداء الصدقات إليهم ، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح . قال ابن بطال رحمه الله تعالى : فى هذا الحـديث دليل أن النصيحة تسمـى ديناً وإسلاماً : وأن الدين

يقع على العمل كما يقع على القول . قال : والنصيحة فرض يجزىء فيه من قام به ويسقط عن الباقين . قال : والنصيحة واجبة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه من المكروه . فإن خشى أذى فهو فى سعة، والله تعالى أعلم .

فإن قيل : ففى صحيح البخارى أنه ﷺ قال « **إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له**» [1] وهو يدل على تعليق الوجوب بالاستنصاح لا مطلقاً ومفهوم الشرط حجة فى تخصيص عموم المنطوق ، فجوابه : أنه حمل ذلك على الأمر الدنيوى كنكاح امرأة ومعاملة رجل ونحو ذلك ، والأول يحمل بعمومه فى الأمور الدينية التى هى واجبه على كل مسلم . والله تعالى أعلم.

الحديث الثامن

عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَائَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى**» [1] رواه البخارى ومسلم.

قوله ﷺ : «أمرت » . . . إلخ فيه دليل على أن مطلق الأمر وصيغته تدل على الوجوب.

قوله ﷺ : «**فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دمائهم وأموالهم**» فإن قيل : فالصوم من أركان الإسلام ، وكذلك الحج ، ولم يذكرهما. فجوابه : أن الصوم لا يقاتل الإنسان عليه، بل يحبس ويمنع الطعام والشراب ، والحج على التراخى فلا يقاتل عليه. وإنما ذكر رسول الله ﷺ هذه الثلاثة لأنه يقاتل على تركها ولهذا لم يذكر الصوم والحج لمعاذ حين بعثه إلى اليمن،بل ذكر هذه الثلاثة خاصة.

وقوله ﷺ : « **إلا بحق الإسلام** » فمن حق الإسلام فعل الواجبات ، فمن ترك الواجبات جاز قتاله - كالبغاة ، وقطاع الطريق ، والصائل ، ومانع الزكاة ، والممتنع من بذل المال للمضطر والبهيمة المحترمة والجانى الممتنع من قضاء الدين مع القدرة ، والزانى المحصن ، وتارك الجمعة والوضوء - ففى تلك الأحوال يباح قتله وقتاله . وكذلك لو ترك الجماعة وقلنا إنها فرض عين أو كفاية .

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٤٩) (٢) متفق عليه : رواه البخارى (١/ ٢٥) ومسلم (١/ ٢٢) .

قوله ﷺ : «وحسابهم على الله » يعنى من أتى بالشـهادتين وأقـام الصلاة وأتى بالزكاة عصم دمه ومـاله ، ثم إن كان فعل بنية خالصة صالحـة فهو مؤمن ، وإن كان فعله تقيـة وخوفاً من السيف - كالمنافق - فحـسابه على الله وهو المتولى للسرائر. وكذلك من صلى بغير وضـوء أو غسل من الجنابة أو أكل فى بيته وادعى أنه صائم يقبل منه، وحسابه على الله عز وجل. والله أعلم

الحديث التاسع

عن أبى هريرة عبد الرحـمن عبد الله بن صخر رضـى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«مَا نَهَـيْتُكُمْ عَنْهُ فاجْـتَنبوهُ وَمَا أَمَـرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَـا استَطَعْتُمْ، فَـإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»[1]. رواه البخارى ومسلم.

قوله ﷺ : « **ما نهيتكم عنه فاجتنبوه**» أى اجتنبوه جملة واحدة. لا تفعلوه ولا شيئاً منه . وهذا محمول على نهى التحريم ، فأما نهى الكراهة فيجوز فعله ، وأصل النهى فى اللغة المنع.

قوله ﷺ : « **وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم** » فيه مسائل : (منها) إذا وجد ماء الوضوء لا يكفيه . فالأظهر وجوب استعماله ثم يتيمم للباقى . (ومنها) إذا وجد بعض الصاع فى الفطرة فإنه يجب إخراجه . (ومنها) إذا وجد بعض ما يكفى لنفقـة القريب أو الزوجة أو البهـيمة فإنه يجب بذله ، وهذا بـخلاف ما إذا وجد بعض الرقبة فإنه لا يجب عتقه من الكفارة لأن الكفارة لها بدل وهو الصوم.

وقوله ﷺ : «**فإنما أهلك الذين من قبـلكم كثرة مسائلهم ، واخـتلافهم على أنبيائهم**» اعلم أن السؤال على أقسام: (**القسم الأول**): سؤال الجاهل عن فرائض الدين كالوضوء والصلاة والصـوم وعن أحكام المعاملة ونحو ذلك . وهذا السؤال واجب، وعليه حمل قوله ﷺ :« **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»[2] ولا يسع الإنسان السكوت عن ذلك. قال تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ . وقال ابن عباس رضى الله عنهمـا: إنى أعطيت لساناً سئولا، وقلباً

(١) متفق عليه : رواه البخارى (١٣/٧٢٨٨) ومسلم (٢/١٣٣٧) .

(٢) صحيح : صحيح الجامع (٣٩١٣) إلى . . . مسلم .

عقولا . وكذلك أخبر عن نفسه رضى الله تعالى عنه . **(والقسم الثانى)**: السؤال عن التفقه فى الدين لا للعمل وحده مثل القضاء والفتوى ، وهذا فرض كفاية لقوله سبحانه وتعالى: **﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين﴾** الآية، وقال ﷺ : «**ألا فليعلم الشاهد منكم الغائب**»[1] . **(القسم الثالث)**: أن يسأل عن شىء لم يوجبه الله عليه ولا على غيره ، وعلى هذا حمل الحديث لأنه قد يكون فى السؤال ترتيب مشقة بسبب تكليف يحصل، ولهذا أشارﷺ :«وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تسألوا عنها » . وعن على رضى الله تعالى عنه لما نزلت :**﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾** قال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه حتى أعاد مرتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ «**وما يؤمنك أن أقول نعم ؟ والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم ، فذرونى ما تركتكم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم،واختلافهم على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ،وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه**» فأنزل الله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾** أى لم آمركم بالعمل بها، وهذا النهى خاص بزمانهﷺ ، أما بعد أن استقرت الشريعة،وأمن من الزيادة فيها، زال النهى بزوال سببه.

وكره جماعة من السلف السؤال عن معانى الآيات المشتبهة ، سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: **﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾** فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجل سوء ، أخرجوه عني. وقال بعضهم: مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وهو السؤال .

الحديث العاشر

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا وَإنَّ الله أَمَرَ المُؤْمنينَ بمَا أَمَرَ به المُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا منَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ وَقَالَ

(١) متفق عليه : رواه البخارى (٦٧) ومسلم (١٦٧٩) .

تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا كُلُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يمدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَارَبُّ يَارَب وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ» (١) . رواه مسلم.

قوله ﷺ : «**إن الله تعالى طيب** » عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إنى أسألك باسمك المطهر الطاهر ، الطيب المبارك ، الأحب إليك ، الذى إذا دعيت به أجبت ، وإذا سئلت به أعطيت ، وإذا استرحمت به رحمت ، وإذا استفرجت به فرجت**»(٢). ومعنى الطيب المنزه عن النقائص والخبائث ، فيكون بمعنى القدوس، وقيل طيب الثناء ومستلذ الأسماء عند العارفين بها ، وهو طيب عباده لدخول الجنة بالأعمال الصالحة وطيبها لهم ، والكلمة الطيبة: لا إله إلا الله.

قوله ﷺ : « **لا يقبل إلا طيباً**» أى فلا يتقرب إليه بصدقة حرام - ويكره التصدق بالردىء من الطعام كالحب العتيق والمسوس ، وكذلك يكره التصديق بما فيه شبهة ، قال الله تعالى: ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** ﴾ فكما أنه تعالى لا يقبل من المال إلا الطيب كذلك لا يقبل من العمل إلا الطيب الخالص من شائبة الرياء والعجب والسمعة ونحوها ، وقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً** ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ المراد بالطيبات الحلال، فى الحديث دليل على أن الشخص يثاب على ما يأكله إذا قصد به التقوى على الطاعة أو إحياء نفسه ، وذلك من الواجبات، بخلاف ما إذا أكل لمجرد الشهوة والتنعم .

قوله: «**ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وغذى بالحرام**» أى شبع ، وهو بضم الغين المعجمة ،وكسر الذال المعجمة المخففة من الغذى بالكسر والقصر ، وأما الغداء بالفتح والمد والدال المهملة فهو عبارة عن نفس الطعام الذى يؤكل فى الغداة. قال الله تعالى: ﴿ **قال لفتاه آتنا غداءنا** ﴾.

قوله ﷺ : «**فأنى يستجاب له**» أى استبعاداً لقبول إجابة الدعاء، ولهذا شرط العباد لقبول الدعاء أكل الحلال ، والصحيح أن ذلك ليس بشرط ، فقد

(١) رواه مسلم (٢/ ١٥ ١٠).

(٢) ضعيف ، رواه ابن ماجه (ضعيف الجامع) (١١٩٣) .

استجاب لشر خلقه إبليس فقال : ﴿ إنك من المنظرين ﴾.

الحديث الحادى عشر

عن أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته رضى الله عنهما قال :حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**دعْ مَا يَرِيبُكَ إلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ**» [١].

رواه الترمذى والنسائى ، وقال : الترمذى حديث حسن صحيح.

قوله ﷺ : « **دع ما يريبك إلى مالا يريبك** » فيه دليل على أن المتقى ينبغى له ألا يأكل المال الذى فيه شبهة كما يحرم عليه أكل الحرام ، وقد تقدم.

قوله : « **إلى مالا يريبك** »؟ أى اعدل إلى مالا ريب فيه من الطعام الذى يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس ، والريبة الشك ، وتقدم الكلام على الشبهة.

الحديث الثانى عشر

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيه**» [٢] حديث حسن . رواه الترمذى وغيره هكذا .

قوله ﷺ : « **من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه** » أى ما لا يهمه من أمر الدين والدنيا من الأفعال والأقوال ، وقال ﷺ لأبى ذر حين سأله عن صحف إبراهيم قال: «كانت أمثالاً كلها ، كان فيها : أيها السلطان المغرور إنى لم أبعثك لتجمع الأموال بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فإنى لا أردها ولو كانت من كافر. وكان فيها: على العاقل - ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يتفكر فى صنع الله تعالى وساعة يحدث فيها نفسه ، وساعة يخلو بذى الجلال والإكرام . وأن تلك الساعة عون له على تلك الساعات . وكان فيها: على العاقل - ما لم يكن مغلوباً على عقله - ألا يكون مظاعناً إلا فى ثلاث : تزود لمعاد ، ومئونة لمعاش ، ولذة

---

(١) صحيح : رواه الترمذى (٢٥١٨/٤) وقال : حسن صحيح والحاكم (١٣/٢) وصححه ووافقه الذهبى والألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٧٨)..

(٢) رواه الترمذى (٢٣١٧/٤) انظرصحيح الجامع (٥٩١١) .

فى غير محـرم . وكان فيها : على العاقل - مـا لم يكن مغلوباً على عقله - أن يكون بصيراً لزمـانه ، مقبلاً على شأنه ، حافـظاً للسانه . ومن حسب الكلام من عمله يوشك أن يقل الكلام إلا فيما يعينه ، قلت : بأبى أنت وأمى ، فما كان فى صحف موسى؟ قـال **«كانت عبراً كلها ، كـان فيها : عجبـاً لمن أيقن بالنار كيف يضحك ، وعـجباً لمن أيقن بالموت كـيف يفرح . وعجبـاً لمن رأى الدنيا وتقلبـها بأهلها وهو يطمـئن إليها ، وعجبـاً لمن أيقن بالقدر ثم هو يغضب ، وعـجباً لمن أيقن بالحساب غداً وهـو لا يعمل »** قلت : بأبى أنت وأمى ، هل بقى مما كان فى صحفهما شىء ؟ قال : نعم يا أبا ذر **﴿ قد أفلح من تزكى ﴾** إلى آخر السورة . قلت : بأبى أنت وأمى ، أوصنى. قال: **«أوصيك بتقوى الله فإنه رأس أمرك كله»** قال قلـت : زدنى . قال: **«عليك بالجهاد ، فـإنه رهبانية المؤمنين»** قلت: زدنى . قال: **« عليك بالصمت ، فإنه مطردة للشياطين عنك ، وعون لك على أمر دينك»** . قلت : زدنى ، قال: **«قل الحق ولو كان مراً »** قلت : زدنى . قـال: **«لا تأخذك فى الله لـومـة لائم »** قلـت : زدنى . قـــال: **« صل رحـمك وإن قطعـوك »** قلت: زدنى. قال **«بحسـب أمرىء من الشر مـا يجهل من نـفسه ، ويتكـلف ما لا يعنيه . يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق»**[1] .

الحديث الثالث عشر

عن أبى حمـزة أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه خـادم رسول الله ﷺ عن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم قال : **«لاَيُؤْمِن أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه»** [2]. رواه البخارى ومسلم.

قوله ﷺ : **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيـه ما يحب لنفسه»** الأولى أن يحمل ذلك على عموم الأخوة حتى يشمل الـكافر والمسلم ، فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله فى الإسلام، كـما يحب للمسلم دوامه على الإسلام . ولهذا كان الدعـاء بالهداية للكافر مسـتحباً . والحديث مـحمول على نفى الإيمان الكامل عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه . والمراد بالمحبة إرادة الخير والمنفعة ،

---

(١) أخرجه ابن حبان كما فى جامع العلوم والحكم. .

(٢) متفق عليـه : رواه البخـارى (١/ ١٣) ومسلم (١/ ٤٥) وفى رواية « مـا يحب لنفسـه من الخيـر » لأبى عوانة- والنسائى وأحمد وإسنادها صحيح ، وهى زيادة هامة تحدد المعنى من الحديث بدقة ، إذ أن كلمة (الخير) كلمة جامعة قاله الألبانى (الصحيحة ٧٣) .

ثم المراد المحبة الدينية لا المحبة البشرية . فإن الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتمييز غيرها عليها ، والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية ويدعو لأخيه ويتمنى له ما يحب لنفسه والشخص متى لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسوداً ، والحسد - كما قال - الغزالى ينقسم إلى ثلاثة أقسام: (**الأول**): أن يتمنى زوال نعمة الغير وحصولها لنفسه. **(الثانى)**: أن يتمنى زوال نعمة الغير، وإن لم تحصل له، كما إذا كان عنده مثلها أو لم يكن يحبها، وهذا شر من الأول. **(الثالث)**: ألا يتمنى زوال النعمة عن الغير، ولكن يكره ارتفاعه عليه فى الحظ والمنزلة ، ويرضى بالمساواة ولا يرضى بالزيادة . وهذا أيضاً محرم ، لأنه لم يرض بقسمة الله تعالى ، قال الله تعالى: ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾ ، فمن لم يرض بالقسمة فقد عارض الله تعالى فى قسمته وحكمته ، وعلى الإنسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضا بالقضاء ، ويخالفها بالدعاء لعدوه بما يخالف النفس.

الحديث الرابع عشر

عن أبى مسعود رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لاَ يَحلُّ دَمُ امْرىءِ مُسْلِم إلاَّ بِإحدَى ثلاَث: الثَّيِّبُ الزَّانِى، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لدينه المُفَارِقُ للجَمَاعَة**» [1]. رواه البخارى ومسلم.

قوله ﷺ : «**الثيب الزانى**» المراد بالثيب من تزوج ووطىء فى نكاح صحيح ثم زنى بعد ذلك، فإنه يرجم، وإن لم يكن متزوجاً فى حالة الزنا لاتصافه بالإحصان.

قوله ﷺ : «**والنفس بالنفس**» أى بشرط المكافأة ، فلا يقتل المسلم بالكافر، ولا الحر بالعبد عند الشافعية لا الحنفية.

قوله ﷺ : «**والتارك لدينه ، المفارق للجماعة**» وهو المرتد والعياذ بالله تعالى. وقد يكون موافقاً للجماعة كاليهودى إذا تنصر وبالعكس، لا يقتل لأنه تارك لدينه غير مفارق للجماعة . وفيه قولان : أصحهما لا يقتل بل يلحق بالمؤمن، والثانى : يقتل لأنه اعتقد بطلان دينه الذى كان عليه وانتقل إلى دين كان يرى بطلانه قبل ذلك وهو غير الحق فلا يترك بل إن لم يسلم يقتل. وقد تقدم

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى (١٢/٦٨٧٨) ومسلم (٣/١٦٧٦) .

القتل أيضاً فى صورة سبق الكلام عليها.

الحديث الخامس عشر

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

« مَن كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَن كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[1]. رواه البخارى ومسلم.

قوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**» قال الشافعى رحمه الله تعالى: معنى الحديث إذا أراد أن يتكلم فليفكر فإن ظهر أنه لا ضرر عليه تكلم، وإن ظهر أن فيه ضرراً أو شك فيه أمسك . وقال الإمام الجليل أبو محمد بن أبى زيد إمام المالكية بالمغرب فى زمنه جميع آداب الخير تتفرع من أربعة أحاديث ، قول النبى ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**» . وقوله ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» . وقوله ﷺ: للذى اختصر له الوصية «**لا تغضب**» وقوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» . ونقل عن أبى القاسم القشيرى رحمه الله تعالى أنه قال: السكوت فى وقته صفة الرجال ، كما أن النطق فى موضعه من أشرف الخصال ، قال : وسمعت أبا على الدقاق يقول : من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس. وكذا نقله فى حلية العلماء عن غير واحد . وفى حلية الأولياء أن الإنسان لا ينبغى له أن يخرج من كلامه إلا ما يحتاج إليه ،كما أنه لا ينفق من كسبه إلا ما يحتاج إليه . وقال : لو كنتم تشترون الكاغد للحفظة لسكتم عن كثير من الكلام. روى عنه ﷺ **أنه قال:«من فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه»** . وروى عنه ﷺ أنه قال: «**العافية فى عشرة أجزاء: تسعة منها فى الصمت إلا عن ذكر الله عز وجل**»[2] . ويقال: من سكت فسلم ، كمن قال فغنم ، وقيل لبعضهم : لم لزمت السكوت؟ قال : لأنى لم أندم على السكوت قط ، وقد ندمت على الكلام مراراً . ومما قيل : جرح اللسان كجرح اليد . وقيل: اللسان كلب عقور، إن خلى عنه عقر ، وروى عن على رضى الله عنه:

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى (١٠/١٨ ٦٠١٠) ومسلم (٤٧) .

(٢) ضعيف : ضعيف الجامع (٣٨٣٤) والضعيفة (٣٩٢٧) .

يموت الفتى من عثرة من لسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرِّجْل
فعثرته من فيه ترمى برأسه ... وعثرته بالرِّجْل تبرا على المهل

ومما قيل:

قد أفلح الساكت الصموت ... كلام واعى الكلام قوت
ما كل نطق له جواب ... جواب ما يكره السكوت
واعجباً لا مرىء ظلوم ... مستيقن أنه يموت

قوله ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** » قال القاضى عياض : معنى الحديث أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام الضيف والجار . وقد قال ﷺ : «**ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» **وقال** ﷺ : «**من آذى جاره ، ملكه الله داره**» وقوله تعالى: ﴿ **والجار ذى القربى والجار الجنب** ﴾الجار يقع على أربعة : الساكن معك فى البيت قال الشاعر:

أجارتنا فى البيت إنك طالق

ويقع على من لاصق بيتك ، ويقع على أربعين داراً من كل جانب ، ويقع على من يسكن معك فى البلد . قال الله تعالى: ﴿ **ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً** ﴾ فالجار الملاصق القريب المسلم له ثلاثة حقوق، والجار البعيد المسلم له حقان ، وغير القريب المسلم له حق واحد . والضيافة من آداب الإسلام وخلق النبيين والصالحين ، وقد أوجبها الليث ليلة واحدة . واختلفوا هل الضيافة على الحاضر والبادى،أم على البادى خاصة ؟ فذهب الشافعى ومحمد بن عبد الحكم إلى أنها على الحاضر والبادى ، وذهب مالك وسحنون إلى أنها على أهل البوادى، لأن المسافر يجد فى الحضر المنازل فى الفنادق ومواضع النزول وما يشترى من الأسواق ، وقد جاء فى حديث «الضيافة على أهل الوبر ، وليست على أهل المدر» لكنه حديث موضوع.

الحديث السادس عشر

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أوصنى قال :

«لاَتَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَاراً قَالَ لاَ تَغْضَبْ» (١) . رواه البخارى.

قوله ﷺ : «**لا تغضب**» معناه لا تنفذ غضبك ، وليس النهى راجعاً إلى نفس الغضب لأنه من طباع البشر ، ولا يمكن الإنسان دفعه. وقوله ﷺ : «**إياكم والغضب ، فإنه جمرة تتوقد فى فؤاد ابن آدم، ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه ، وتنتفخ أوداجه، فإذا أحس أحدكم بشىء من ذلك فليضطجع أو ليلصق بالأرض**» (٢) وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : علمنى علماً يقربنى من الجنة ويبعدنى من النار، قال «**لا تغضب ولك الجنة**» . وقال ﷺ : «**إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار،وإنما يطفىء النار الماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**» (٣). وقال أبو ذر الغفارى: قال لنا رسول الله ﷺ «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**» (٤). قال عيسى عليه الصلاة والسلام ليحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام: إنى معلمك علماً نافعاً : لا تغضب . فقال : وكيف لى ألا أغضب ؟ قال : إذا قيل لك ما فيك ، فقل : ذنب ذكرته ، أستغفر الله منه . وإن قيل لك ما ليس فيك ، فاحمد الله إذ لم يجعل فيك ما عيرت به ، وهى حسنة سيقت إليك ، وقال عمرو بن العاص: سألت رسول الله ﷺ عما يبعدنى عن غضب الله تعالى ، قال: « **لا تغضب**» .وقال لقمان لابنه: إذا أردت أن تؤاخى أخاً فأغضبه ، فإن أنصفك وهو مغضب وإلا فاحذره.

الحديث السابع عشر

عن أبى يعلى شداد بن أوس رضى الله تعالي عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**» (٥). رواه مسلم .

---

(١) رواه البخارى (٦١١٦/١٠) .

(٢) رواه أحمد (١٩/٣) والترمذى (٢١٩١)

(٣) ضعيف : رواه أبو داود (٤٧٨٤) - وأحمد (٢٢٦/٤) انظر الضعيفة (٥٨٢) .

(٤) صحيح : رواه أحمد (١٥٢/٥) والترمذى وعنه أبو داود (٤٧٨٢). انظر المشكاة (٥١١٤) .

(٥) رواه مسلم (١٩٥٥/٣) .

قوله ﷺ : «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء** » ومن جملة الإحسان عند قتل المسلم فى القصاص أن يتفقد آلة القصاص ، ولا يقتل بآلة كالّة ، وكذلك يحد الشفرة عند الذبح ويريح البهيمة ، ولا يقطع منها شيئاً حتى تموت ، ولا يحد السكين قبالها ، وأن يعرض عليها الماء قبل الذبح ، ولا يذبح اللبون ولا ذات الولد حتى يستغنى عن اللبن، وألا يستقصى فى الحلب، ويقلم أظافره عند الحلب . قالوا ولا يذبح واحدة أمام أخرى.

الحديث الثامن عشر

عن أبى ذر جندب بن جنادة وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«**اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بخلقٍ حَسَنٍ**»[١] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيث حَسَن، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قوله ﷺ : «**اتق الله حيث ما كنت** » أى اتقه في الخلوة كما تتقيه فى الجلوة بحضرة الناس ، واتقه فى سائر الأمكنة والأزمنة . ومما يعين على التقوى استحضار أن الله تعالى مطلع على العبد فى سائر أحواله ، قال الله تعالى : ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ الآية ، والتقوى كلمة جامعة لفعل الواجبات وترك المنهيات.

قوله ﷺ : «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها** » أى إذا فعلت سيئة فاستغفر الله تعالى منها وافعل بعدها حسنة تمحها.

اعلم أن ظاهر هذا الحديث يدل أن الحسنة لا تمحو إلا سيئة واحدة وإن كانت الحسنة بعشر ، وأن التضعيف لا يمحو السيئة . وليس هذا ظاهره بل الحسنة الواحدة تمحو عشر سيئات ، وقد ورد فى الحديث ما يشهد لذلك وهو قوله ﷺ : « **تكبرون دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتسبحون عشراً فذلك مائة وخمسون باللسان وألف وخمسمائة فى الميزان ثم قال** ﷺ « **أيكم يفعل فى اليوم الواحد ألفا وخمسمائة سيئة**» دل على أن التضعيف يمحو السيئات . وظاهر الحديث أن الحسنة تمحو السيئة مطلقاً ، وهو محمول على السيئة المتعلقة بحق الله

(١) حسن : رواه أحمد (٥/ ١٥٣) والترمذى (١٧٨٧) والحاكم (١/ ٥٤) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى والألبانى فى صحيح الجامع (٩٧) . .

تعالى ، أما المتعلقة بحق العباد- من الغضب والغيبة والنميمة - فلا يمحوها إلا الاستحلال من العباد ، ولا أن يعين له جهة الظلامة فيقول : قلت عليك كيت وكيت . وفى الحديث دليل على أن محاسبة النفس واجبة ، قال ﷺ : «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا** » قال الله تعالي: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾ .

قوله ﷺ : «**وخالق الناس بخلق حسن**» اعلم أن الخلق الحسن كلمة جامعة للإحسان إلى الناس وإلى كف الأذى عنهم ، وقال ﷺ : «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق**» وعنه ﷺ : «**خيركم أحسنكم أخلاقاً**»[1] وعنه ﷺ أن رجلاً أتاه فقال : يا رسول الله ، ما أفضل الأعمال ؟ قال : « **حسن الخلق** ». وهو على ما مر : ألا تغضب . ويقال : اشتكى نبي إلى ربه سوء خلق امرأته، فأوحى الله إليه: قد جعلت ذلك حظك من الأذى . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً . وخيارهم خيارهم لنسائهم** » وعنه ﷺ :« **إن الله اختار لكم الإسلام ديناً فأكرموه بحسن الخلق والسخاء ، فإنه لا يكمل إلا بهما** » ، وقال جبريل عليه السلام للنبى ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿ **خذ العفو** ﴾ الآية ، قال فى تفسير ذلك «**أن تعفوا عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطى من حرمك**». وقال تعالى: ﴿**ادفع بالتى هى أحسن**﴾ الآية. وقيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ قال: كان خلقه القرآن: يأتمر بأوامره ، وينزجر بزواجره، ويرضى لرضاه، ويسخط لسخطه ﷺ .

الحديث التاسع عشر

عن أبى العباس عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فقال:

«**يَا غُلَامَ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى**

(١) صحيح : رواه البخارى فى الأدب المفرد عن أبى هريرة بلفظ « خيركم إسلاماً أحاسنكم أخلاقاً» وأبو داود (٤٦٨٢) - وأحمد (٢/ ٢٥٠) - والدارمى (٢/٣٢٣) - والحاكم (١/ ٣) والطبرانى فى المعجم الصغير (١/٢١٨) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٥٩) والصحيحة (٢٨٦٠) .

أَنْ يَنْفَعُوكَ بشيء لَمْ ينفعوكَ إلاَّ بشيء قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ وَإن اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بشيء لَمْ يضروكَ إلا بشيء قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وجَفَّت الصُّحُفُ»[1] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيث حسن صحيح.

وفى رواية غير الترمذى «احْفَظ الله تَجِدْهُ أمَامَكَ تَعَرَّفْ إلَى الله فى الرَّخَاء يَعْرِفْكَ فى الشِّدَّة وَاعْلَمْ أنَّ مَا أخْطَأكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَمَا أَصَابكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئكَ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً».

قوله ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**» أى احفظ أوامره وامتثلها وانته عن نواهيه يحفظك فى تقلباتك، وفى دنياك وآخرتك. قال الله تعالى: ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ وما يحصل للعبد من البلاء والمصائب بسبب تضييع أوامر الله تعالى. قال الله تعالى ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾. قوله ﷺ: «**تجده تجاهك**» أى أمامك، قال ﷺ: «**تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة**» وقد نص الله تعالى فى كتابه أن العمل الصالح ينفع عند الشدة وينجى فاعله، وأن عمل المصائب يؤدى بصاحبه إلى الشدة. قال الله تعالي عن يونس عليه الصلاة والسلام: ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين. للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون**﴾ ولما قال فرعون: ﴿ **آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل** ﴾ قال له الملك: ﴿ **الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾.

قوله ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله**» إشارة إلى أن العبد لا ينبغى له أن يعلق سره بغير الله بل يتوكل عليه فى سائر أموره. ثم إن كانت الحاجة التي يسألها لم تجر العادة بجريانها علي أيدى خلقه كطلب الهداية والعلم والفهم فى القرآن والسنة وشفاء المرض وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة سأل ربه ذلك. وإن كانت الحاجة التى يسألها جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدى خلقه كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف والصنائع وولاة الأمور، سأل الله تعالي أن يعطف عليه قلوبهم فيقول: اللهم حنن علينا قلوب عبادك وإماءك وما أشبه ذلك، ولا يدعو الله تعالى باستغنائه عن الخلق لأنه ﷺ سمع علياً يقول: اللهم أغننا عن خلقك فقال « **لا تقل هكذا، فإن الخلق يحتاج**

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) وأحمد (١/ ٢٩٣) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

بعضهم إلى بعض . ولكن قل : اللهم أغننا عن شرار خلقك» . وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم ، ويروى عن الله تعالى فى الكتب المنزلة : أيقرع بالخواطر باب غيرى وبابى مفتوح؟ أم هل يؤمل للشدائد سواى وأنا الملك القادر؟ لأكسون من أمَّل غيرى ثوب المذلة بين الناس . . إلخ

قوله ﷺ : «**واعلم أن الأمة .. إلخ**» لما كان قد يطمع فى بر من يحبه ، ويخاف شر من يحذره ، قطع الله اليأس من نفع الخلق بقوله: ﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله** ﴾ ولا ينافى هذا كله قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ **فأخاف أن يقتلون** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى** ﴾ وكذا قوله: ﴿ **خذوا حذركم** ﴾ إلى غير ذلك، بل السلامة بقدر الله، والعطب بقدر الله، والإنسان يفر من أسباب العطب إلى أسباب السلامة ، قال الله تعالي: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾.

قوله ﷺ : «**واعلم أن النصر مع الصبر** » قال ﷺ : «**لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ولا تفروا فإن الله مع الصابرين**»[1] كذلك الصبر على الأذى في موطن يعقبه النصر.

قوله ﷺ : «**وإن الفرج مع الكرب** » . الكرب هو شدة البلاء ، فإذا اشتد البلاء أعقبه الله تعالى بالفرج ، كما قيل : اشتدى أزمة تنفرجى .

قول ﷺ : « **وإن مع العسر يسراً** » قد جاء فى حديث آخر أنه ﷺ قال: «**لن يغلب عسر يسرين** »، وذلك أن الله تعالى ذكر العسر مرتين ، ولكن عند العرب أن المعرفة إذا أعيدت معرفة توحدت لأن اللام الثانية للعهد ، وإذا أعيدت النكرة نكرة تعددت ، فالعسر ذكر مرتين معرفاً واليسر مرتين منكراً فكان اثنين فلهذا قال ﷺ : « **لن يغلب عسر يسرين**».

الحديث العشرون

عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **إنَّ ممَّ أدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبوَّةِ الأُولَى إذاَ لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْت**»[2]. رواه البخارى.

(١) متفق عليه عن أبى هريرة رواه البخارى (٦/ ٣٠٢٤، ٣٠٢٥) ومسلم كتاب الجهاد باب ٦ رقم (٢٠) .

(٢) صحيح : رواه البخارى (٦/ ٣٤٨٣- ٣٤٨٤) .

قوله ﷺ : « **إذا لم تستح فاصنع ما شئت** » معناها إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا تستحي من فعله - من الله ولا من الناس - فافعله وإلا فلا ، وعلي هذا الحديث يدور مدار الإسلام كله ، وعلي هذا يكون قوله ﷺ : «**فاصنع ما شئت** » أمر إباحة ، لأن الفعل إذا لم يكن منهياً عنه شرعاً كان مباحا ، ومنهم من فسر الحديث بأنك إذا كنت لا تستحي من الله تعالي ولا تراقبه فاعط نفسك مناها وافعل ما تشاء ، فيكون الأمر فيه للتهديد لا للإباحة، ويكون كقوله: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾[فصلت : ٤] وكقوله تعالى: ﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك** ﴾ [الإسراء: ٦٤] الآية.

الحديث الحادى والعشرون

عن أبى عمرو وقيل أبى عمرة سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك ، قال: «**قُلْ آمَنْتُ بالله ، ثُمَّ اسْتَقِمْ** »[1]. رواه مسلم.

قوله ﷺ : «**قل آمنت بالله ثم استقم** » أى كما أمرت ونهيت ، والاستقامة ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات ، قال الله تعالى: ﴿**فاستقم كما أمرت ومن تاب معك** ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة** ﴾ أى عند الموت تبشرهم بقوله تعالى: ﴿**أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون**﴾ وفى التفسير أنهم إذ بشروا بالجنة قالوا: وأولادنا ما يأكلون ما حلهم بعدنا ؟ فيقال لهم: ﴿ **نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ أى نتولى أمرهم بعدكم ، فتقر بذلك أعينهم.

الحديث الثانى والعشرون

عن أبى عبد الله جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: **أَرَأَيْتَ إذاَ صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَات، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الحَلاَلَ ، وحَرَّمْتُ الحَرَامَ ، ولَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلكَ شَيْئاً أَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَالَ «نَعَمْ»**[2]. رواه مسلم ومعنى حرمت الحرام اجتنبته ومعنى أحللت

(١) صحيح : رواه مسلم (١/ ٣٨) .

(٢) صحيح : رواه مسلم (١/ ١٥) .

الحلال فعلته معتقداً حله .

قوله ﷺ : «**أرأيت . . إلخ** » معناه أخبرني . وقوله: « **وأحللت الحلال**» أى اعتقدته حلالاً وفعلت منه الواجبات . وقوله: «**وحرمت الحرام** » أى اعتقدته حراماً ولم أفعله. وقوله ﷺ : «**نعم**» أى تدخل الجنة.

الحديث الثالث والعشرون

عن أبى مالك الحارث بن عاصم الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَان والحمدُ لله تَمْلأُ الميزَانَ ، وسُبْحَانَ الله والحمدُ لله تَمْلآن أو تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاء وَالأرْض ، وَ الصَّلاةُ نُورُ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانُ وَ الصَّبْرُ ضِيَاءُ وَالقرْآنُ حُجَّةُ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كَلَّ النَّاس يَغْدُو فَبَائعُ نَفْسَهُ فَمعْتقُهَا أَوْ مُوبقُهَا** »[1]. رواه مسلم .

وقوله ﷺ : «**الطهور شطر الإيمان** » فسر الغزالى الطهور بطهارة القلب من الغل والحسد والحقد وسائر أمراض القلب وذلك أن الإيمان الكامل إنما يتم بذلك ، فمن أتى بالشهادتين حصل له الشطر ، ومن طهر قلبه من بقية الأمراض كمل إيمانه ، ومن لم يطهر فقد نقص إيمانه . قال بعضهم : ومن طهر قلبه وتوضأ واغتسل فقد دخل الصلاة بالطهارتين جميعاً ، ومن دخل فى الصلاة بطهارة الأعضاء خاصة فقد دخل الصلاة بإحدى الطهارتين ، والله تعالى لا ينظر إلا إلى طهارة القلب لقوله ﷺ : «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبشاركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[2].

قوله ﷺ : «**والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ - أو تملأن- ما بين السماء والأرض** » وهذا قد يشكل على الحديث الآخر ، وهو أن موسى عليه الصلاة والسلام قال :« يارب دلنى على عمل يدخلنى الجنة ، قال : يا موسى ، قل لاإله إلا الله ، فلو وضعت السموات السبع والأرضون السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهم لا إله إلا الله ». ومعلوم أن السموات

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣)

(٢) رواه مسلم فى البر والصلة باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره بلفظ إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (٨/ ١١) . .

والأرضين أوسع مما بين السماء والأرض ، وإذا كانت الحمد لله تملأ الميزان وزيادة لزم أن تكون الحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض ؛ لأن الميزان أوسع مما بين السماء والأرض والحمد لله تملؤها ، والمراد أنه لو كان جسماً لملأ الميزان، أو أن ثواب الحمد لله يملؤها.

قوله ﷺ : « **والصلاة نور** » أى ثوابها نور ، وفى الحديث: « **بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**».

قوله ﷺ : «**والصدقة برهان**» أى دليل على صحة إيمان صاحبها، وسميت صدقة لأنها دليل على صدق إيمانه ، وذلك أن المنافق قد يصلى ولا تسهل عليه الصدقة غالباً.

قوله ﷺ : «**والصبر ضياء**» أى الصبر المحبوب ، وهو الصبر على طاعة الله تعالى والبلاء ومكاره الدنيا، ومعناه لا يزال صاحبه مستمراً على الصواب.

قوله ﷺ :« **كل الناس يغدوا فبائع نفسه. .** » معناه : كل إنسان يسعى لنفسه ، فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها ويهلكها ، قال ﷺ :« **من قال حين يصبح أو يمسى** : «**اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ونبيك ، أعتق الله ربعه من النار . فإن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار . فإن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار . فإن قالها أربعاً أعتق الله كله من النار**» . فإن قيل : المالك إذا أعتق بعض عبده سرى العتق إلى باقيه ، والله تعالى أعتق الربع الأول فلم يسر عليه وكذلك الباقى ، فالجواب أن السرية قهرية ، والله تعالى لا تقع عليه الأشياء القهرية بخلاف غيره ، ولا يقع فى حكمه سبحانه مالا يريد ، قال الله تعالى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم** ﴾ الآية، قال بعض العلماء : لم يقع بيع أشرف من هذا ، وذلك أن المشترى هو الله ، والبائع المؤمنون ، والمبيع الأنفس،والثمن الجنة ، وفى الآية دليل على أن البائع يجبر أولاً على تسليم السلعة قبل أن يقبض الثمن ، وأن المشترى لا يجبر أولاً على تسليم الثمن، وذلك أن الله تعالى أوجب على المؤمنين الجهاد حتي يقتلوا فى سبيل الله . فأوجب عليهم أن يسلموا الأنفس المباعة ويأخذوا الجنة . فإن قيل :

كيف يشترى السيد من عبيده أنفسهم والأنفس «ملك له ؟ قيل: كاتبهم ، ثم اشترى منهم ، والله تعالى أوجب عليهم الصلوات الخمس والصوم وغير ذلك ، فإذا أدوا ذلك فهم أحرار . والله تعالى أعلم .

الحديث الرابع والعشرون

عن أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال :

«يَا عبادى ، إنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسى وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلاَ تَظَالَمُوا ، يَا عبادى كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونى أَهْدكُمْ ،يَا عبَادى كُلُّكُمْ جَائعٌ إلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطعمُونى أُطعمْكُمْ ، يَا عبَادى كُلُّكُمْ عَارٍ إلاَّ منْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونى أَكْسُكُمْ، يَا عبَادى إنَّكُمْ تُخطئُونَ باللَّيْل وَالنَّهَار وأَنَا أَغْفرُ الذُّنُوبَ جَميعاً فَاسْتَغْفرُونى أغفرْ لَكُمْ ، يَا عبَادى إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونى وَلَنْ تبلغوا نَفْعى فَتَنْفَعُونى ، يَا عبادى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخركُمْ وَإنْسكُمْ وَجنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْب رَجُلٍ وَاحد منكُمْ مَا زَادَ ذَلكَ فى مُلْكى شَيْئاً ، يَا عبَادى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخركُمْ وَإنْسَكُمْ وَجنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرَ قَلْب رَجُلٍ وَاحد منْكُمْ مَا نَقصَ ذَلكَ منْ مُلْكى شَيْئًا ، يَا عبَادى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخركُمْ وَإنْسَكُمْ وَجنَّكُمْ قَامُوا فى صَعيد وَاحد فَسَأَلُونى فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحد مَسْأَلَتَهُ مَا نَقصَ ذَلكَ ممَّا عندى إلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المخْيَطُ إذاَ أُدْخلَ البَحْرَ ، يَا عبَادى إنَّمَا هىَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدَ الله ومَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ»[1]. رواه مسلم.

قوله عز وجل: « **إنى حرمت الظلم علي نفسى**» أى تقدست عنه، والظلم مستحيل في حق الله تعالى، فإن الظلم مجاوزة الحد والتصرف فى ملك الغير وهما جميعاً محال فى حق الله تعالى .

قوله تعالى : « **فلا تظالموا** » أى فلا يظلم بعضكم بعضاً .

قوله : « **إنكم تخطئون بالليل والنهار**» بفتح التاء والطاء على أنه من خطىء

(١) صحيح : رواه مسلم (٤/٢٥٧٧) . .

بفتح الخاء وكسر الطاء يخطأ فى المضارع،ويجوز فيه ضم التاء على أنه من أخطأ، والخطأ يستعمل فى العمد والسهو، ولا يصح إنكار هذه اللغة، ويرد عليه تعالى : ﴿ **إن قتلهم كان خطأ كبيراً**﴾ بفتح الخاء والطاء وقرىء ﴿**خطأ كبيراً** ﴾ أيضاً :

قوله تعالى :« **لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم** . .إلخ» دلت الأدلة السمعية والعقلية على أن الله مستغن فى ذاته عن كل شيء، وأنه تعالى لا يتكثر بشيء من مخلوقاته ، وقد بيَّن الله تعالى أنّ له ملك السموات والأرض وما بينهما . ثم بين أنه مستغن عن ذلك ، قال تعالى :﴿ **يخلق ما يشاء** ﴾ وهو قادر على أن يذهب هذا الوجود ويخلق غيره، ومن قدر على أن يخلق كل شيء فقد استغنى عن كل موجود . ثم بين سبحانه وتعالى أنه مستغن عن الشريك فقال تعالى :﴿ **ولم يكن له شريك فى الملك** ﴾ ثم بين سبحانه وتعالي أنه مستغن عن المعين والظهير فقال تعالى : ﴿ **ولم يكن له ولى من الذل** ﴾ فوصف العز ثابت له أبدا ، ووصْفُ الذل منتف عنه تعالى ، ومن كان كذلك فهو مستغن عن طاعة المطيع ، ولو أن الخلق كلهم أطاعوه كطاعة أتقى رجل منهم وبادروا إلى أوامره ونواهيه ولم يخالفوه لم يتكثر سبحانه وتعالى بذلك ولا يكون ذلك زيادة فى ملكه، وطاعتهم إنما حصلت بتوفيقه وإعانته ، وطاعتهم نعمة منه عليهم،ولو أنهم كلهم عصوه كمعصية أفجر رجل - إبليس- وخالفوا أمره ونهيه لم يضره ذلك ولم ينقص من كمال ملكه شيئاً،فإنه لو شاء أهلكهم وخلق غيرهم،فسبحان من لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية.

قوله تعالى:« **فأعطيت كل أحد مسألته ما نقص ذلك من ملكى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**» ومعلوم أن المخيط - وهو الإبرة - وذلك فى المشاهدة لا ينقص من البحر شيئاً ، والذى يتعلق بالمخيط لا يظهر له أثر فى المشاهدة ولا فى الوزن .

قوله تعالى:« **ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**» حيث أعطاها مناها واتبع هواها.

الحديث الخامس والعشرون

عن أبى ذر رضى الله عنه أيضاً أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا للنبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول

أموالهم قال: « **أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَة صَدَقَة وَكُلِّ تَكْبِيرَة صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيدَة صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَهْلِيلَة صَدَقَةٌ وَفِى بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ** » قالوا يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِى حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِى الْحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»[١] رواه مسلم.

قوله « **قالوا يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته وله فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى الحرام أكان عليه وزر؟** » . اعلم أن شهوة الجماع شهوة أحبها الأنبياء والصالحون ، قالوا: لما فيها من المصالح الدينية والدنيوية، ومن غض البصر ، وكسر الشهوة عن الزنا ، وحصول النسل الذى تتم به عمارة الدنيا وتكثر به الأمة إلى يوم القيامة. قالوا : وسائر الشهوات يقسى تعاطيها القلب، إلا هذه فإنها ترقق القلب.

الحديث السادس والعشرون

عن أبى هريرة رضى الله تعالي عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِى دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»[٢]. رواه البخارى ومسلم.

قوله ﷺ : «**كل سلامى من الناس عليه صدقة**» السلامى: أعضاء الإنسان، وذكر أنها ثلاثمائة وستون عضوا. كل عضو منها صدقة كل يوم ، وكل عمل بر من تسبيح أو تهليل أو تكبير أو خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، فمن أدى ركعتين فى أول يومه فقد أدى زكاة بدنه فيحفظ بقيته . وجاء فى الحديث أن ركعتين فى الضحى تقوم مقام ذلك وفى الحديث « يقول الله تعالى : يا ابن آدم،

---

(١) رواه مسلم (٢/١٠٠٦) .

(٢) متفق عليه : رواه البخارى (٥/٢٧٠٧) ومسلم (٢/١٠٠٩)

صل لى أربع ركعات فى أول النهار أكفيك آخره».

الحديث السابع والعشرون

عن النواس بن سمعان رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِى نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»[1]. رواه مسلم.

وَعَنْ وَابصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رَضِىَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**جِئْتُ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ؟**» **قُلْتُ نَعَمْ** قَالَ: «**اسْتَفْتِ قلْبَكَ: الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيهِ النَّفسُ وَاطمَأَنَّ إلَيْهِ القَلْبُ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِى النَّفْسِ وتَرَدَّدَ فِى الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ**» حديث حسن رويناه فى مسندى الإمامين أحمد ابن حنبل والدارمى بإسناد حسن.

قوله ﷺ: «**البر حسن الخلق**» وقد تقدم الكلام فى حسن الخلق، قال ابن عمر: البر أمر هين ووجه طلق ولسان لين، وقد ذكر الله تعالى آية جمعت أنواع البر فقال تعالى: ﴿ **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾.

قوله ﷺ: «**والإثم ما حاك فى نفسك**» أى اختلج وتردد ولم تطمئن النفس إلى فعله. وفى الحديث دليل على أن الإنسان يراجع قلبه إذا أراد الإقدام على فعل شىء. فإن اطمأنت إليه النفس فعله، وإن لم تطمئن تركه. وقد تقدم الكلام على الشبهة فى حديث «**الحلال بين والحرام بين**» ويروى أن آدم عليه الصلاة والسلام أوصى بنيه بوصايا، منها قال: إذا أردتم فعل شىء فإن اضطربت قلوبكم فلا تفعلوه، فإني لما دنوت من أكل الشجرة اضطرب قلبى عند الأكل، ومنها أنه قال: إذا أردتم فعل شىء فانظروا فى عاقبته فإنى لو نظرت فى عاقبه الأكل ما أكلت من الشجرة ومنها أنه قال إذا أردتم فعل شىء فاستشيروا الأخيار، فإنى لو استشرت الملائكة لأشاروا على بترك الأكل من الشجرة.

قوله ﷺ: «**وكرهت أن يطلع عليه الناس**» لأن الناس قد يلومون الإنسان على أكل الشبهة، وعلى أخذها، وعلى نكاح امرأة قد قيل إنها رضعت

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٥٥٣).

معه ، ولـهذا قال ﷺ «**كيف وقد قيل** »؟ وكذلك الحرام إذا تعـاطاه الشخص يكره أن يطلع عليه الناس . ومثال الحرام الأكل من مال الغير ، فإنه يجوز إن كان يتحقق رضـاه : فإن شك فى رضاه حرم الأكل . وكذلك التـصرف فى الوديعة بغيـر إذن صاحـبها ، فـإن الناس إذا اطلعوا على ذلك أنكروه علـيه ، وهو يكره اطلاع الناس على ذلك لأنهم ينكرون عليه.

قوله ﷺ : «**والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصـدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك**» مثاله الهـدية إذا جاءتك من شخص غالب مـاله حرام ، وترددت النفس فى حلها، وأفـتاك المفتى بحل الأكل، فإن الفـتوى لا تزيل الشبهـة. وكذلك إذا أخبرته امرأة بأنه ارتضع مع فلانة فإن المفتى إذا أفتاه بجواز نكاحها لعدم استكمال النصاب لا تكون الفتوى مزيلة للشبهة، بل ينبغى الورع وإن أفتاه الناس. والله أعلم.

الحديث الثامن والعشرون

عن أبى نجيح العـرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه قـال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موعظة وجلت منهـا القلوب وذرفت منها العيون. فقلنا : يارسـول الله كأنها موعظة مُـوَدِّع فأوصنا قال: « **أُوصيكُمْ بتَقْوَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَـة وَإنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ فَـإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ منْكُمْ فَسَيَرَى اخْـتلافاً كَثـيراً فَـعَلَيْكُمْ بسُنَّتى وَسُنَّة الخُلَفَاء الـرَّاشدينَ الْمَهْـديِّينَ عضُّـوا عَلَيْهَا بـالنَّواجذ وَإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَات الأُمُور فَـإنَّ كُلَّ بِدْعَة ضَلالَةٌ**»[1] رواه أبو داود والترمـذى وقال حديث حسن صحيح.

قوله: «**وعظنا**» الوعظ هو التخويف «**وذرفت منها العيون**» أى بكت ودمعت.

قوله ﷺ : «**عليكم بسنتى**» أى عند اخـتلاف الأمور الزمـوا سنتى «**وعضوا عليها بالنواجذ**» أى مؤخر الأضراس، وقيل الأنياب. والإنسان متى عض بنواجذه كأنه يجمع أسنانه ، فيكون مبالغـة . فمعنى العض على السُّنَّة الأخذ بها ، وعدم اتباع آراء أهل الأهواء والـبدع . و«عضـوا » فعل أمر من عض يعـض وهو بفتح العين ، وضمها لحن، ولذلك تقول: بر أمك يازيد ، لأنه منِ بر يبر ، ولا تقول

(١) صحيح : رواه أحـمد (١٢٦/٤ ، ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧/٤) والترمذى (٢٦٧٦/٥) وابـن ماجه فى المقدمة (٤٢) وصححه الألبانى .

بر أمك بضم الباء .

قوله ﷺ «سنة الخلفاء الراشدين » يريد الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى .

الحديث التاسع والعشرون

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار ، قال: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ . ثُمَّ قَالَ : أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ الْمَاءَ النَّارَ وَصَلاَةُ الرَّجُلِ فِى جَوْفِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ تَلا ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يعْلَمونَ ﴾ ثُمَّ قَالَ :أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وذِرْوَةِ سَنَامِهِ، قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ : أَلا أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ . قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ الله . فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا قُلْتُ يَانَبِىَّ الله وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ: فَقَالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِم إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِم»[1] رَوَاهُ التِّرْمِذِى وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

قوله ﷺ : «وذروة سنامه» أى أعلاه . وملاك الشىء- بكسر الميم - أى مقصوده

قوله ﷺ : « ثكلتك أمك» أى« فقدتك . ولم يقصد رسول الله حقيقة الدعاء ، بل جرى ذلك على عادة العرب فى المخاطبات وحصائد ألسنتهم : جناياتها علي الناس بالوقوع فى أعراضهم والمشى بالنميمة ونحو ذلك ، وجنايات اللسان : الغيبة والنميمة ، والكذب ، والبهتان ، وكلمة الكفر ، والسخرية ، وخلف الوعد . قال تعالى: ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾[الصف :٣].

الحديث الثلاثون

عن أبى ثعلبة الخشنى جرثوم بن ناشر رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوهَا وحَدَّ

(١) صحيح : رواه أحمد (٥/ ٢٣١) والترمذى (٥/ ٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وصححه الألبانى . .

حُدُوداً فَلاَ تَعْتَـدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلاَ تَنْتَهِكُوهَا وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْـمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَان فَلاَ تَبْحَثُوا عَنْهَا »(١) حديث حسن رواه الدارقطني وغيره.

قوله ﷺ : «**وحرم أشياء فلا تنتهكوها** » أى فلا تدخلوا فيها .

قوله ﷺ : «**وسكت عن أشياء رحمة لكم** » تقدم معناه.

الحديث الحادى والثلاثون

عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يَارَسُولَ الله ، دُلَّنى عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِى الله وَأَحَبَّنِى النَّاسُ فَقَالَ: «**ازْهَدْ فى الدُّنْيَا يُحِبَّكَ الله وازْهَدْ فيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**»(٢) حديث حسن ، رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

قوله ﷺ : «**ازهد فى الدنيا يحبك الله**» الزهد ترك مالا يحتاج إليه من الدنيا وإن كان حلالا ، والاقتصار على الكفاية . والورع ترك الشبهات . قالوا: وأعقل الناس الزهاد، لأنهم أحبوا ما أحب الله ، وكرهوا ما كره الله من جمع الدنيا ، واستعملوا الراحة لأنفسهم . قال الشافعى رحمه الله تعالى : لو أوصى لأعقل الناس صرف إلى الزهاد ولبعضهم :

كن زاهد فيما أيدى الورى ... تضحى إلي كل الأنام حبيبا
أو ماترى الخطاف حرم زادهم ... فغدا رئيسا فى الجحور قريباً

وللشافعى رضى الله عنه فى ذم الدنيا:

ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها ... وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غروراً وباطلا ... كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها
وما هى إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فدع فضلات الأمور فإنها ... حرام على نفس التقى ارتكابها

قوله حرام على نفس التقى ارتكابها يدل على تحريم الفرح بالدنيا وقد صرح بذلك البغوى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وفرحوا بالحياة الدنيا** ﴾[الرعد :٢٦] ثم

(١) صحيح : رواه الدارقطنى (٤/١٨٣-١٨٤) قال ابن كثير فى تفسيره (٢/١٠٦) الحديث الصحيح وذكره
(٢) صحيح : رواه ابن ماجة (٢/٤١٠٢) انظر الصحيحة للشيخ الألبانى (٩٤٤) وصحيح الجامع (٩٢٢).

المراد بالدنيا المذمومة : طلب الزائد على الكفاية أما طلب الكفاية فواجب . قال بعضهم : وليس ذلك من الدنيا ، وأما الدنيا فالزائدة على الكفاية واستدل بقوله تعالى: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين**﴾ [آل عمران : ١٤]، فقوله تعالى إلى ما تقدم من طلب التوسع والتبسط.

قال الشافعى رحمه الله : طلب الزائد من الحلال عقوبة ابتلى الله بها أهل التوحيد . ولبعضهم :

لادارللمرء بعد الموت يسكنها	إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناهابخيرطاب مسكنه	وإن بناها بشر خاب بانيها
النفس ترغب فى الدنيا وقد علمت	أن الزهادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التقى ما دمت مجتهدا	واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

ثم بعد ذلك إذا فرح بها لأجل المباهاة والتفاخر والتطاول على الناس فهو مذموم، ومن فرح بها لكونها من فضل الله فهو محمود ، قال عمر رضى الله عنه : اللهم لا نفرح إلا بما رزقنا . وقد مدح الله المقتصدين فى العيش فقال ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا**﴾ [الفرقان :٦٧]الآية، وقال ﷺ :«**ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار.ولا عال من اقتصد** » والاقتصاد : الرضا بالكفاية.وقال بعض الصالحين من اكتسب طيباً وأنفق قصداً قدم فضلاً

الحديث الثانى والثلاثون

عن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخُدْرىِّ رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَضَرَرَ وَلاَضِرَارَ**»[1]. حديثَ حسن رواه ابن ماجه والدارقطنى وغَيْرهُمُا مُسْنَداً ، ورواه مالكَ فى الموطأ مرسلاً عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأسقط أبا سعيد ، وله طرق يقوى بعضها بعضاً.

قوله ﷺ : «**لاضرر**» أى لا يضر من أحدكم بغير حق ولا جناية سابقة.

قوله ﷺ : «**ولا ضرار**» أى لا تضر من ضرك ، وإذا سبك أحد فلا تسبه، وإن ضربك فلا تضربه ، بل اطلب حقك منه عند الحاكم من غير مسابة ، وإذا تساب رجلان أو تقاذفا لم يحصل التقاص ، بل كل واحد يأخذ حقه بالحاكم .

(١) صحيح : رواه ابن ماجة (٢٣٤٠) ومالك فى الموطأ (٢/٧٤٥) انظر الصحيحة (٢٥٠).

وفى الحديث عنه ﷺ قال: «**المستبان ما قالا . وعلى البادىء منهما الإثم ، ما لم يعتد المظلوم بسب زائد**» .

الحديث الثالث والثلاثون

عن ابن عـباس رضى الله عنهـما أن رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم قال: « **لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْـوَاهُمْ لادَّعَى رِجَـالٌ أَمْوَالَ قَـوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ ، لَكِنِ الْبَـيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ** » (١) حديث حسن . رواه البيهقى وغيره هكذا وبعضه فى الصحيحين .

قوله ﷺ : « **البـينة على المدعى واليـمين على من أنكر** » إنما كانت الـبينة على المدعى لأنه يدعى خـلاف الظاهر ، والأصل براءة الذمة. وإنما كـانت اليمين فى جانب المدعى عليه لأنه يدعى ما وافق الأصل وهو براءة الذمة ويستثنى مسائل: فيقبل قـول المدعى بلا بينة فيما لا يعلم إلا من جهته: كدعـوى الأب حاجته إلى الإعفاف ، ودعوى السفيـه التوقان إلى النكاح مع القرينة . ودعوى الخنثى الأنوثة أو الذكورة ، ودعوى الطفل البـلوغ بالاحتلام، ودعوى القريب عـدم المال ليأخذ النفقة ، ودعوى المدين الإعسار فى دينه لزمه بلا مـقابل كصداق الزوجة والضمان وقيـمة المتلف ، ودعوى المرأة انقضـاء العدة بالإقرار أو بوضع الحـمل ، ودعواها أنها استحلت وطلقت ، ودعوى المودع تلف الوديعة أو ضـياعها بسرقة ونحوها . ويستثنى أيضاً القسامة فإن الإيمان تكون فى جانب المدعى مع اللوث واللعان ، فإن الزوج يقذف ويلاعن ويسـقط عنه الحد ، ودعوى الوطء فى مـدة ملاعنة المرأة إذا أنكرته يصدق الزوج بدعواه إلا أن تكـون الزوجة بكراً ، وكذا لو ادعى أنه وطىء فى مدة الإيلاء ، وتارك الصـلاة إذا قال صليت فى البيت ، ومانع الـزكاة إذا قال أخرجتـها إلا أن ينكرالفقـراء وهم محصرون فـعليه البينة . وكذا لو ادعى الـفقر وطلب الزكـاة أعطى ولا يحلف ، بخلاف مـا إذا ادعى العيـال فإنه يحـتاج إلى البينة، ولو أكل فى يوم الثلاثين من رمضان وادعى أنه رأى الهلال لم يقبل منه إن ادعى ذلك بعد الأكل فإنه ينفى عن نفسه التعزير ، وإذا ادعى ذلك قبل الأكل قبل ولم يعزر ، وينبغي أن يأكل سراً لأن شهادته وحده لا تقبل.

(١) متفق عليه : رواه البخارى (٤٥٥٢) ومسلم (١٧١١) بلفظ «لو يعط الناس بدعواهم ، لادعى ناس دماء رجال وأموالهم . ولكنه اليمين على المدعى ».

قوله ﷺ : «**واليمين على من أنكر** » هذه اليمين تسمى يمين الصبر وتسمى يمين الغموس . وسميت يمين الصبر لأنـها تحبس صاحب الحق عن حقه، والحبس الصبر، ومنه قـيل للقتيل والمحبوس عن الدفن مصـبر ، قال ﷺ : « **من حلف على يمين صـبر يقـتطع به مـال امرىء مـسلم هو فـيهـا فاجـر لقى الله وهو عليـه غضبان**» وهذه اليـمين لا تكون إلا علي الماضى ،ووقـعت فى القـرآن العظيم فى مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا** ﴾[التوبة :٧٤] . ومنها قوله تعالى إخباراً عن الكفرة: ﴿ **ثم لم تكن فـتنتهم إلا أن قالوا والله ربـنا ما كنا مشركين** ﴾[الأنعـام :٢٣]. ومنها قـوله تعـالى: ﴿ **إن الذين يشـترون بعهـد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً** ﴾[آل عمران :٧٧] الآية. ويستـحب للحاكم أن يقرأ هذه الآية عند تحليفه للخصم لينزجر.

الحديث الرابع والثلاثون

عن أبى سعـيد الخدرى رضى الله عنه قـال : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

«**مَنْ رَأَى منْكُمْ مُنْكَراً فَلْـيُغَـيِّرْهُ بيَـده فَإِنْ لَـمْ يَسْتَطِعْ فَـبِلسَـانه فَإِنْ لَمْ يَسْـتَطِعْ فَبقَلْبِه وَذَلكَ أَضْعَفُ الإِيْمَان**» [١] رَوَاهُ مُسْلمٌ.

قوله ﷺ :«**وذلك أضعف الإيمان** » ليس المراد أن العاجز إذ أنكر بقلبه يكون إيمانه أضعف من إيمان غيـره . وإنما المراد أن ذلك أدنى الإيمان ، وذلك أن العمل ثمرة الإيمان، وأعلى ثمرة الإيمان فى باب النهى عن المنكر أن ينهى بيده ، وإن قتل كان شهيداً ، قال الله تعالى حاكياً عن لقمان :﴿ **يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبـر على ما أصابك** ﴾ [القمـان: ١٧] ويجب النهى على القادر باللسـان وإن لم يسمع منه ، كـما إذا علم أنه إذا سلم لا ترد علـيه السلام فـإنه يسلم. فإن قيل : قوله ﷺ : « **فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه** » يقتـضى أن غير المسـتطيع لا يجوز له التـغييـر بغير القلب ، والأمـر للوجوب ، فجوابه من وجهين : **أحدهما** أن المفهوم مخصص بقوله تعالى: ﴿ **واصبر على ما أصابك** ﴾. **والثانى**: أن الأمر فـيه يعنى رفع الحرج لا رفـع المستحب .فـإن قيل الإنكار بالقلب ليس فيه تغييـر المنكر . فما معني قوله ﷺ : «**فبقلبه**» ؟ فجوابه

(١) رواه مسلم (٤٩) .

أن المراد أن ينكر ذلك ولا يرضاه ويشتغل بذكر الله وقد مدح الله تعالى العاملين بذلك فقال ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراماً** ﴾[الفرقان : ٧٢].

الحديث الخامس والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَتَنَاجَشُوا ، وَلاَتَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ الله إخوَانَاً الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَيَظْلِمُهُ وَلاَيَخْذُلُهُ وَلاَ يَكْذِبُهُ وَلاَيَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا- وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِه ثَلاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُه**» [1] رواه مُسْلِمٌ .

قوله ﷺ : «**لا تحاسدوا**» قد تقدم أن الحسد على ثلاثة أنواع . والنجش أصله الارتفاع والزيادة ، وهو أن يزيدهم ثمن سلعة ليغر غيرهم ، وهو حرام، لأنه غش وخديعة.

قوله ﷺ : «**ولا تدابروا**» أى لا يهجر أحدكم أخاه وإن رآه أعطاه دبره - أى ظهره- قال: ﷺ «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**» والبيع على بيع أخيه صورته أن يبيع أخوه شيئاً فيأمر المشترى بالفسخ ليبيعه مثله وأحسن منه بأقل من ثمن هذا والشراء على الشراء حرام بأن يأمر البائع بالفسخ ليشتريه منه بأغلى ثمن. وكذلك يحرم السوم علي سوم أخيه وكل هذا داخل فى الحديث ، لحصول المعني وهو التباغض والتدابر . وتقييد النهى ببيع أخيه يقتضى أنه لا يحرم على بيع الكافر ، وهو وجه لابن خالويه ، والصحيح لا فرق ، لأنه من باب الوفاء بالذمة والعهد.

قوله ﷺ : «**التقوى ها هنا**» وأشار بيده إلى صدره ، أراد القلب ، وقد تقدم قوله ﷺ : «**ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله**» الحديث.

---

(١) رواه مسلم (٤ / ٢٥٦٤) .

قوله ﷺ : «**ولا يخذله**» أى عند أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر ،أو عند مطالبته بحق من الحقوق ، بل ينصره ويعينه ويدفع عنه الأذى ما استطاع.

قوله ﷺ : «**ولا يحقره**» أى فلا يحكم على نفسه بأنه خير من غيره . بل يحكم على غيره بأنه خير منه . أو لا يحكم بشىء ، فإن العاقبة منطوية ولا يدرى العبد بما يختم له فإذا رأى صغيراً مسلماً حكم بأنه باعتبار أنه أخف ذنوباً منه في الإسلام ، وإن رأى كافراً لم يقطع له بالنار لاحتمال أنه يسلم فيموت مسلماً.

قوله ﷺ : «**كل المسلم .. إلخ**» قال فى حجة الوداع «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، وفى بلدكم هذا**» واستدل الكرابيسى بهذا الحديث على أن الغيبة والوقوع فى عرض المسلمين كبيرة إما لدلالة الاقتران بالدم والمال، وإما للتشبيه بقوله كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، وقد توعد الله تعالى بالعذاب الأليم فقال تعالى: ﴿**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم**﴾[الحج :٢٥] .

الحديث السادس والثلاثون

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« **مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِن كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِر يَسَّرَ الله عَلَيْه فى الدُّنْيَا وَالآخرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلمًا سَتَرَهُ اللَه فى الدُّنْيَا والآخرَةِ والله فى عَوْنِ الْعَبْد مَا كَانَ الْعَبْدُ فى عَوْنِ أَخيه وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فيه علْماً سَهَّلَ الله لَهُ به طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّة ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فى بَيْت منْ بُيُوت الله يَتْلُونَ كتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهمُ السَّكينَةُ وَغَشيتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائكَةُ وَذَكَرَهُمُ الله فيمَنْ عنْدَهُ . وَمَنْ بَطأَ به عَمَلُهُ لَمْ يُسْرعْ به نَسَبُهُ**»[١] رواه مسلم بهذا اللفظ.

قوله ﷺ : «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**» فيه دليل على استحباب خلاص الأسير من أيدى الكفار بمال يعطيه، وعلى تخليص المسلم من أيدى الظلمة، وخلاصه من السجن ، يقال : إن

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) .

يوسف عليه الصلاة والسلام لما خرج من السجن كتب على بابه: هذا قبر الأحياء، وشماته الأشلاء ، وتجربة الأصدقاء . ويدخل فى هذا الباب الضمان عن المعسر ، والكفالة ببدنه لمن هو قادر عليه ، أما العاجز فلا ينبغى له ذلك . وقال بعض أصحاب القفال : إن فى التوراة مكتوباً : أن الكفالة مذمومة ، أولها ندامة ، ووسطها ملامة . وآخرها غرامة ، فإن قيل : قال الله تعالى: ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾ [الأنعام: ١٦] وهذا الحديث يدل على أن الحسنة بمثلها لأنها قوبلت بتنفيس كربة واحدة ولم تقابل بعشر كرب يوم القيامة، فجوابه من وجهين: (**أحدهما**): أن هذا من باب مفهوم العدد ، والحكم المعلق بعدد لايدل على نفى الزيادة والنقصان، (**والثاني**): أن كل كربة من كرب يوم القيامة تشتمل على أهوال كثيرة، وأحوال صعبة . ومخاوف جمة ، وتلك الأهوال تزيد على العشرة وأضعافها.

وفى الحديث سر آخر مكتوم يظهر بطريق اللازم للملزوم ، وذلك أن فيه وعداً بإخبار الصادق أن : من نفس الكربة عن المسلم يختم له بخير . ويموت على الإسلام. لأن الكافر لا يرحم فى دار الآخرة ولا ينفس عنه من كربه شىء ، ففى الحديث إشارة إلى بشارة ، تضمنتها العبارة الواردة عن صاحب الأمارة ، فبهذا الوعد العظيم فليثق الواثقون و﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾[الصافات: ٦١] فأفضل العمل تنفيس الكرب.

وفى الحديث دليل على استحباب ستر المسلم إذا اطلع عليه أنه عمل فاحشة، قال الله تعالى :﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة** ﴾[النور :١٩] والمستحب للإنسان إذا اقترف ذنبا أن يستر على نفسه . وأما شهود الزنا فاختلف فيهم على وجهين : أحدهما يستحب لهم الستر ، والثانى الشهادة . وفصل بعضهم فقال: إن رأوا مصلحة فى الشهادة شهدوا ، أو فى الستر ستروا.

وفى الحديث دليل على استحباب المشى فى طلب العلم ، ويروى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن خذ عصا من حديد ونعلين من حديد وامش فى طلب العلم حتى ينخرق النعلان وتنكسر العصا.

وفيه دليل على خدمة العلماء وملازمتهم والسفر معهم واكتساب العلم منهم،

قال الله تعالي حاكياً عن موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا** ﴾[الكهف :٦٦] .

واعلم أن هذا الحديث له شرائط : منها العمل بما يعمله . وقال أنس رضى الله عنه: العلماء همتهم الرعاية ، والسفهاء همتهم الرواية، قال الشاعر:

مواعظ الواعظ لن تقبلا حتى يعيها قلبه أولا
يا قوم من أظلم من واعظ خالف ما قد قاله فى الملا؟
أظهر بين الخلق إحسانه وخالف الرحمن لما خلا

ومن شرائطه نشره ، قال الله تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم**﴾ [التوبة : ١٢٢] الآية . وروى أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «**ألا أخبركم عن أجود الأجواد؟ قالوا : بلى يارسول الله قال :الله أجود الأجواد ، وأنا أجود ولد آدم ، وأجودهم بعدى رجل علم علما فنشره، يبعث يوم القيامة أمة وحده ، ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى قتل** » .

ومن شرائطه ترك المباهاة والمماراة ، وروى عن النبى ﷺ أنه قال:« **من طلب العلم لأربعة دخل النار : ليباهى به العلماء ، أو يمارى به السفهاء ، أو يأخذ به الأموال أو يصرف به وجوه الناس إليه**».

ومن شرائطه الاحتساب فى نشره ، وترك البخل به ، قال الله تعالى ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرا**﴾.

ومن شرائطه ترك الأنفة من قول «**لا أدرى** » قال ﷺ - فى علو مرتبته- لما سئل عن الساعة : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** » ، وسئل عن الروح فقال: « **لا أدرى** » .

ومن شرائطه التواضع ، قال الله تعالى: ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا**﴾[الفرقان :٦٣]، قال ﷺ لأبى ذر: «**يا أبا ذر ، احفظ وصية نبيك عسى أن ينفعك الله بها : تواضع لله عسى أن يرفعك يوم القيامة ، وسلم على من لقيت من أمتى برها وفاجرها والبس الخشن من الثياب ولا ترد بذلك إلا وجه الله تعالى . لعل الكبر والحمية لا يجدان فى قلبك مساغا**».

ومن شرائطه احتمال الأذى فى بذل النصيحة والاقتداء بالسلف الصالح فى

ذلك قال الله تعالى: ﴿ **وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك** ﴾ [لقمان :١٧]، وقال ﷺ : «**ما أوذى نبى مثل ما أوذيت** ».

ومن شرائطه أن يقصد بعلمه من كان أحوج إلى التعليم ، كما يقصد بالصدقة بالمال الأحوج فالأحوج ، فمن أحيا جاهلا بتعليم العلم فكأنما أحيا الناس جميعا .ومما قيل في تنبيه الغافل ورده إلى الطاعة:

من رد عبداً آبقا شاردا عفا عن الذنب له الغافر

قوله ﷺ : «**إلا نزلت عليهم السكينة** » هى « فعيلة» من السكون أى الطمأنينة من الله، قال الله تعالى: ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ [الرعد:٢٨] وكفى بذكر الله شرفا ذكر الله للعبد فى الملإ الأعلى ، ولهذا قيل :

وأكثر ذكره فى الأرض دوماً لتذكر فى السماء إذا ذكرنا

وقيل:

وساعة الذكر فاعلم ثروة وغنى وساعة اللهو إفلاس وفاقات

قوله ﷺ : «**ومن أبطا به عمله** » أى وإن كان نسيباً « **لم يسرع به نسبه** » إلى الجنة فيقدم العامل بالطاعة - ولو كان عبدا حبشيا - على غير العامل ولو كان شريفا قرشياً، قال الله تعالى: ﴿ **إن أكرمكم عن الله أتقاكم** ﴾[الحجرات :١٣].

الحديث السابع والثلاثون

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال :

« **إنَّ الله كَتَبَ الْحَسَنَات وَالسَّيِّئَات ثُمَّ بَيَّنَ ذَلكَ فَمَنْ هَمَّ بحَسنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهاَ الله عنْدَهُ حَسَنَةً كَاملَةً وَإنْ همَّ بهَا فَعَملَهَا كَتَبَهَا الله عنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَات إلَى سَبعْمَائَة ضعْف إلَى أَضْعَاف كثيرَة ، وإنْ هَمَّ بسيِّئَة فَلَمْ يَعْملْهَا كَتَبهَا الله عنْدَهُ حَسَنَةً كَاملَةً وإنْ هَمَّ بهَا فَعَملَهَا كَتَبَهَا الله سيِّئَةً وَاحدَةً** » (١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما بهذه الحروف .

فانظر يا أخى وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى وتأمل هذه

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى (٦٤٩١) ومسلم (١٣١) .

الألفاظ، وقوله «عنده» إشارة إلى الاعتناء بها وقوله «كاملة» للتأكيد وشدة الاعتناء بها . وقال في السيئة التى هم بها ثم تركها كتبها الله عنده حسنة كاملة فأكدها «بكاملة» وإن عملها كتبها سيئة واحدة فأكد تَقْليلَهَا بواحدةً ولم يؤكدها « بكاملة » فلله الحمد والمنة لا نحصى ثناء عليه . وبالله التوفيق .

قوله ﷺ : «**كتبها الله عشر حسنات إلي سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة**» وروى البزار فى مسنده أنه ﷺ قال « **الأعمال سبعة : عملان موجبان ، وعملان واحد بواحد ، وعمل الحسنة فيه بعشرة ، وعمل الحسنة فيه بسبعمائة ضعف ، وعمل لا يحصى ثوابه إلا الله تعالى . فأما العملان الموجبان فالكفر والإيمان ، فالإيمان يوجب الجنة والكفر يوجب النار ، وأما العملان اللذان هما واحد بواحد فمن هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله له حسنة ،ومن عمل سيئة كتب الله عليه سيئة واحدة ، وأما العمل الذى بعشر حسنات فعمل الحسنة لقوله تعالى: ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾** [الأنعام: ١٦٠] **وأما العمل الذى بسبعمائة ضعف فدرهم الجهاد فى سبيل الله،قال الله تعالى: ﴿ كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ﴾**[البقرة: ٢٦١] ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أنه يضاعف لمن يشاء زيادة على ذلك وقال الله تعالى: **﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾** [النساء: ٤٠] فدلت الآية والحديث وهو قوله ﷺ: « **إلى أضعاف كثيرة**» أن العشر والسبعمائة كلمة ليست للتحديد ، وأنه يضاعف لمن يشاء ويعطى من لدنه ما لا يعد ولا يحصى ، فسبحانه من لا تحصى آلاؤه ، ولا تعد نعماؤه فله الشكر والنعمة والفضل وأما السابع فهو الصوم يقول الله تعالى : « **كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فهو لى وأنا أجزىء به** » فلا يعلم ثواب الصوم إلا الله .

الحديث الثامن والثلاثون

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**إنَّ الله تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدى بشَىء أَحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرضتهُ عَلَيْه . ولاَيَزَالُ عَبْدى يَتَقَرَّبُ إلَيَّ حَتَّى أُحبَّهُ فَإذاَ أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذى يَسْمَعُ به وبَصَرَهُ الَّذى يُبْصرُ به ويَدَهُ الَّتى يَبْطشُ بهَا ورِجْلَهُ الَّتى يَمْشى بهَا ولَئنْ سَأَلَنى لأُعْطيَنَّهُ وَلَئِن اسْتَعَاذَنى لأُعيذَنَّهُ**»(١) رواه البخارى.

(١) رواه البخارى (٦٥٠٢) .

قوله عن ربه تعالي :« **من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب** » المراد هنا بالولى المؤمن ، قال اللـه تعالى: ﴿ **اللـه ولى الذين آمـنوا** ﴾ [البقـرة :٢٥٧] فمن آذى مؤمنا فـقد آذنه الله - أى أعلمه الـله - أنه محارب له ، والله تعـالى إذا حارب العبد أهلكه ، فيحذر الإنسان من التعرض لكل مسلم.

قوله تعالى: « **وما تقرب إلىّ عـبدى بشىء أحب إلى مما افترضـته عليه** » فيه دليل على أن فـعل الفـريضـة أفـضل من النوافل ، وجـاء فى الحـديث أن ثواب الفريضة يفضل على ثواب النافلة بسبعين مرة .

قوله تعالى :« **ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه** » ضرب العلماء رضى الله تعالي عنهم لذلك مـثلا فقالوا : مـثل الذى يأتى بالنوافل مع الفرائض ومثل غيره كمثل رجل أعطى لأحد عبديـه درهماً ليشترى به فاكهة وأعطى الآخر درهما ليشـترى فاكهـة فذهب أحد العبدين فـاشترى فاكهـة فوضعهـا فى قوصرة وطرح عليها ريحانا ومشموماً من عـنده ثم جاء فوضعها بين يدى السيد ، وذهب الآخر واشترى الفاكهة فى حجـره ثم جاء فوضعها بين يدى السيد على الأرض ، فكل واحد من العبدين قد امتثل ، ولكن أحدهما زاد من عنده القوصرة والمشموم فيصير أحب إلى السيـد ، فمن صلى النوافل مع الفرائض يصير أحب إلى الله . والمحبـة من الله إرادة الخـير فإذا أحب عـبده شـغله بذكره وطاعـته وحـفظه من الشيطان واستعـمل أعضاءه فى الطاعة وحبب إليه سماع القـرآن والذكر وكره إليه سـماع الغناء وآلات اللهـو وصار من الذيـن قال الله تعـالى فى حقـهم: ﴿ **وإذا سمعوا اللغـو أعرضوا عنه** ﴾ [القـصص:٥٥] ، وقال تعـالى : ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾[الفرقان :٦٣] فإذا سمعوا منهـم كلاماً فاحشاً أضربوا عنه وقالوا قولا لا يسلمـون فيه وحفظ بصره عن المحـارم فلا ينظر إلى ما لا يحل له وصار نظره نظر فكر واعتبار فلا يرى شيئاً من المصنوعات إلا استدل به علي خالقه وقال على رضى الله تعـالى عنه : ما رأيت شـيئاً إلا ورأيت الله تعـالى قبله . ومعنى الاعتبار : العبور بالفكر فى المخلوقات إلى قدرة الخلق ، فيسبح عند ذلك ويقدس ويعظم ، وتصير حركاته باليدين والرجلين كلها لله تعالى ، ولايمشى فيما لا يعنيه، ولا يفعل بيده شيئاً عبثاً بل تكون حركاته وسكناته لله تعالى فيثاب على ذلك فى حركاته وسكناته وفى سائر أفعاله.

قوله تعالى: «**كنت سمعه** » يحتمل كنت الحافظ لسمعه ولبصره ولبطش يده ورجله من الشيطان، ويحتمل كنت فى قلبه عند سمعه وبصره وبطشه، فإذا ذكرنى كف عن العمل لغيرى .

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«**إنَّ الله تَجَاوَزَ لى عَنْ أُمَّتى الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْه**»[1] حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ والبيهقى وغيرهما .

قوله ﷺ : « **إن الله تعالى تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » أى تجاوز عنهم إثم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، وأما حكم الخطأ والنسيان والمكره عليه فغير مرفوع فلو أتلف شيئاً خطأً أو ضاعت منه الوديعة نسيانا ضمن . ويستثنى من الإكراه على الزنا والقتل فلا يباحان بالإكراه ، ويستثنى من النسيان ما تعاطى الإنسان سببه، فإنه يأثم بفعله لتقصيره ، وهذا الحديث اشتمل على فوائد وأمور مهمة جمعت فيها مصنفا لا يحتمله هذا الكتاب.

الحديث الأربعون

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنكبى فقال : « **كُنْ فى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيل** » [2] **وكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ تَعَالَى عنهُمَا يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِر الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِر المَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لمرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لمَوْتِكَ**» . رواه البخارى .

قوله ﷺ : «**كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » أى لا تركن إليها، ولا تتخذها وطنا ، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب فى غير وطنه الذى يريد الذهاب منه إلى أهله. وهذا معنى قول سلمان الفارسى رضى الله عنه: أمرنى خليلى ﷺ ألا أتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب.

ومما قيل فى الزهد فى الدنيا:

(١) صحيح : رواه ابن ماجه (٢٠٤٥) وانظر صحيح الجامع(١٧٣١)

(٢) رواه البخاري (٦٤١٦) .

أتبنى بناء الخالدين وإنما	مقامك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الإراك كفاية	لمن كان فيها يعتريه رحيل

ومما قيل في الزهد فى الدنيا:

ترجوا البقاء بدار لابقاء لها	وهل سمعت بظل غير منتقل

وقال آخر :

سجنت بها وأنت لها محب	فكيف تحب ما فيه سجنتا
فلا تله بدار أنت فيها	تفارق منك يوما ما لهوتا
وتطعمك الطعام وعن قريب	ستطعم منك ما منها طعمتا

وفى الحديث دليل على قصر الأمل، وتقديم التوبة، والاستعداد للموت. فإن أمل فليقل : إن شاء الله تعالى : **﴿ ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ﴾** [الكهف : ٢٣ - ٢٤].

وقوله : « **وخذ من صحتك** » أمره ﷺ **أن يغتنم أوقات الصحة بالعمل** الصالح فيها، فإنه قد يعجز عن الصيام والقيام ونحوهما لعلة تحصل من المرض والكبر.

وقوله ﷺ :« **ومن حياتك لموتك» أمره** ﷺ بتقديم الزاد ، وهذا كقوله تعالى: **﴿ ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾** [الحشر :١٨]، ولا يفرط فيها حتى يدركه الموت فيقول: **﴿ رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت ﴾** وقال الغزالى رحمه الله تعالى: ابن آدم بدنه معه كالشبكة يكتسب بها الأعمال الصالحة، فإذا اكتسب خيرا ثم مات كفاه ولم يحتج بعد ذلك إلى الشبكة وهو البدن فارقه بالموت. ولا شك أن الإنسان إذا مات انقطعت شهوته من الدنيا، واشتهت نفسه العمل الصالح لأنه زاد القبر فإن كان معه استغنى به وإن لم يكن معه طلب الرجوع منها إلى الدنيا ليأخذ منها الزاد، وذلك بعد أن أخذت منه الشبكة. فيقال له: هيهات، قد فات. فيبقى متحيرا دائما نادما على تفريطه فى أخذ الزاد قبل انتزاع الشبكة، فلهذا قال رسول الله ﷺ :«**وخذ من حياتك لموتك** » فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الحديث الحادى والأربعون

عن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئت به**»[١] حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح.

قوله ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**» يعنى أن الشخص يجب عليه أن يعرض عمله على الكتاب والسنة، ويخالف هواه ويتبع ما جاء به ﷺ وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ [الأحزاب :٣٦] فليس لأحد مع الله عز وجل ورسوله ﷺ أمر ولا هوى . وعن إبراهيم بن محمد الكوفى قال: رأيت الشافعى بمكة يفتى الناس ، ورأيت إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل حاضرين، فقال أحمدلإسحاق : تعالى حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله. فقال له إسحاق: لم تر عيناى مثله؟ قال : نعم ! فجاء به فوقفه على الشافعى- فذكر القصة إلى أن قال : ثم تقدم إسحاق إلى مجلس الشافعى ، فسأله عن كراء بيوت مكة ، فقال الشافعى: هذا عندنا جائز . قال رسول الله ﷺ : «**فهل ترك لنا عقيل من دار؟**». فقال إسحاق : أخبرنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك، وعطاء وطاوس لم يكونا يريان ذلك . فقال له الشافعى : أنت الذى تزعم أهل خراسان أنك فقيههم! قال إسحاق:كذا يزعمون قال الشافعى: ما أحوجنى أن يكون غيرك فى موضعك فكنت آمر أن يفرك أذنيه . أنا أقول : قال رسول الله ﷺ وأنت تقول: قال عطاء وطاوس والحسن وإبراهيم وهؤلاء لا يرون ذلك ! وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة؟ ثم قال الشافعى:قال الله تعالى: ﴿**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم**﴾[الحشر:٨] أفتنسب الديار إلى مالكين أوغير مالكين؟ قال إسحاق : إلى مالكين ، قال الشافعى : فقول الله تعالى أصدق الأقاويل ، وقد قال رسول الله ﷺ :« **من دخل دار أبى سفيان فهو آمن**»[٢] وقد اشترى عمر بن الخطاب رضى الله عنه دار الحجلتين ، وذكر الشافعى جماعات من أصحاب رسول الله ﷺ فقال له إسحاق : سواء العاكف فيه والباد فقال له الشافعى : المراد به المسجد خاصة ، وهو الذى حول الكعبة . ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز لأحد أن

(١) ضعيف : رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٥) وضعفه ابن رجب كما في جامع العلوم والحكم والألباني في مسكاة المصابيح(١٦٧). (٢) رواه مسلم (٣/ ١٧٨٠)

ينشد فى دور مكة ضالة ، ولا تحبس فيها البدن ، ولا تلقى الأرواث. ولكن هذا فى المسجد خاصة. فسكت إسحاق.ولم يتكلم . فسكت الشافعى عنه.

الحديث الثانى والأربعون

عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

قال الله تعالى : «**يَا ابْنَ آدَمَ انَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِى ، يا ابْنِ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِى لاَ تُشْرِكُ بِى شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**» [١] رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح.

قوله تعالى : «**عنان السماء**» هو بفتح العين المهملة . قيل : هو السحاب، وقيل ما عن لك منها - أى ظهر - إذا رفعت رأسك.

قوله تعالى : « **ثم استغفرتنى غفرت لك**» هو نظير قوله تعالى : ﴿ **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** ﴾ والاستغفار لا بد أن يكون مقرونا بالتوبة ، قال الله تعالى : ﴿ **وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه**﴾ ، وقال تعالى ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ .

واعلم أن الاستغفار معناه طلب المغفرة وهو استغفار المذنبين ، وقد يكون عن تقصير فى أداء الشكر وهو استغفار الأولياء والصالحين ، وقد لا يكون لا عن واحد منهما بل يكون شكرا وهو استغفاره ﷺ واستغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقال ﷺ : « **سيد الاستغفار: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ،أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[٢] . وقال ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه «**قُلْ : اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً - وفى رواية : كبيرا - ولايغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى . إنك أنت الغفورالرحيم**»[٣] .

وهذا آخر ما يسر الله الكريم على سبيل الاختصار
والحمد لله رب العالمين

---

(١) حسن : رواه الترمذي(٣٥٤٠) انظر الصحيحة (١٢٧). (٢) رواه البخاري (١٠/٦٣٠٦).
(٣) رواه البخاري (٢/ ٨٣٤) .

الفهـــرس

مطبعة جزيرة الورد
المنصورة ـ نوسا البحر
٠٥٠/٤٤١١٩١